مَارغريتُ بَارغيتر

بحرُ العِتابْ



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨





روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

بحـــر العتاب

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
STORM CYCLE

١ ـ الأيام الأولى

استسلمت زوي الى حلم جميل، رأت فيه نفسها في زورق تحت سماء زرقاء صافية، وفوق بحر رائق هادىء. وكان مكادم الى جانبها يطوقها بذراعه وهو يبتسم. ولمحت زوي ان في عينيه شيئاً ما، فبذلت جهدها لمعرفته. ولذلك مالت عنه بعيداً الى حافة الزورق، بحيث بدأ يعلو ويهبط ويشرف على الغرق، فأخذت تصرخ من الخوف. وهنا شدها مكادم اليه بفارغ صبر وصاح بها:

ـ هيا يا زوي استفيقي!

فانتفضت زوي من حلمها ولم تستطع ان تدرك، لأول وهلة، اين هي. ولكن مكادم كان معها، يحدق اليها دون ان يبتسم، بل كان متجهم الوجه من الغضب لا من الهناء. وأدركت انها في مكتبه لا في

الزورق، وانه يهزها هزاً عنيفاً. فتمتمت، وهي تنظر اليه بعينيها الخضراوين، قائلة:

ـ مكادم!

فأبدى مكادم امتعاضه وانتهرها قائلاً:

ـ ماذا تفعلين هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ اما قلت لك مراراً الا تعودي الى مكتبي بعد الانتهاء من عملك؟

فعاد الى زوي وعيها كاملاً، فنهضت واقفة على قدميها والاحمرار يعلو وجنتيها. فهي، على ما يبدو، وقعت في نوم عميق، بعد ان انهت عملها في مراجعة دفاتر الحسابات، وحلمت ذلك الحلم.

فقالت له متمتمة:

ـ ساعدت دونالد بعد ظهر اليوم، وأنت غائب. اما قلت انه يجب الانتهاء من مراجعة حسابات رينفرو في اسرع ما يمكن؟

فأجابها وهو يمد يده ليسندها حتى لا تتعثر:

ـ لم يكن من واجبك ان تساعدي دونالد... فأنت تستجيبين لكل ما يطلبه منك!

قال ذلك وجذبها اليه واضعاً احدى يديه على رأسها الملقى على كتفه.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي كانت زوي بين ذراعي مكادم. فمنذ صغرها وهو ينقذها من المآزق التي تقع فيها. فتجد الراحة والعزاء في قربها الحميم اليه. وحين أخذت اصابعه تداعب صفحة عنقها، شعرت برغبة في العودة ثانية الى النوم. كيف لا، فهو طويل القامة، عريض الكتفين، يمنحها شعوراً عميقاً بالأمان والاطمئنان، على الرغم من انها لم تكن مغرمة به.

ولكنها ما كادت تنعم بهذا الشعور حتى سمعت سعالاً خفيفاً خلفها، فتلفتت دون ان تعلم ان مكادم كان يصطحب حبيبته معه. فرمقته هذه، وتدعى اورسولا فندلي، بنظرة جافة بادلتها بنظرة

اجف. فهي لم تكن تطيقها على الاطلاق.
وهنا افلتت من ذراع مكادم وهي تقول له:
ـ يمكنك ان تتركني. لست بحاجة الى معونتك، فأنا تعبة، لا بل دائخة!
زم مكادم شفتيه، فيما قالت اورسولا:
ـ كيف تسمح لموظفيك ان يخاطبوك هكذا، يا حبيبي؟
ولكن مكادم اجابها بما طربت له زوي، اذ قال:
ـ زوي تعبة... وتشكو من العياء!
فتجهم وجه اورسولا وقالت:
ـ ليتك تتوفق الى ايجاد سكرتيرة ماهرة يا حبيبي ريس. اعرف واحدة تلبي حاجتك تماماً. فعملك في صناعة السفن لم يعد صناعة على نطاق ضيق كما كان من قبل.
غضبت زوي لهذا الكلام، وحارت كيف تنتقم منها على اتهامها بأنها لم تكن السكرتيرة المؤهلة للعمل الذي يقوم به مكادم. وأخيراً قالت لمكادم بغنج ودلال لتسمع اورسولا وتثير غيرتها:
ـ تلفنت لك الآنسة فينتس اليوم، بعدما غادرت المكتب، لتعتذر لك عن اضطرارها الى الغاء موعدها معك الليلة، وقالت انها تكون سعيدة اذا تناولت معها طعام الغداء غداً؟
وعبثاً حاول مكادم تحذيرها بعينيه من الاسترسال في مثل هذا الكلام، فأضافت قائلة:
ـ وهي تأمل ان تكون قد تمكنت من ايجاد فتاة اخرى لمرافقتك الليلة!
وصح ما توقعته زوي، اذ استولى الغضب على اورسولا. ايكون ان مكادم انما دعاها لمرافقته تلك الليلة كبديل عن الآنسة فينتس؟ وقبل ان تتيح لمكادم ان يشرح لها الموقف، فقدت السيطرة على اعصابها تماماً وأخذت تخاطب مكادم بكلام لا يليق بفتاة مهذبة ان تخاطب به الرجل، خصوصاً اذا كانت تطمح الى الزواج به. وهي لو

اتاحت له الفرصة لأخبرها بأن لقاءاته مع الآنسة فينتس لم تكن الا بقصد العمل التجاري. اما الآن فلم يعد يسمح له كبرياؤه ان يخبرها بشيء من هذا. وهكذا بدا لزوي ان ايام علاقة مكادم بأورسولا اصبحت معدودة.

ولم تندم زوي على فعلتها هذه. فاذا كان مكادم لا يستطيع ان يرى بأن معظم صديقاته لم يكنّ صالحات له، فيجب ان يساعده احد على ذلك وان لم يكن الأمر سهلاً. فتفضيله الواضح للنساء الجميلات، لكن الغبيات منهن، كان من اليسير فهمه لو لم يكن رصيناً متعقلاً في الأمور الأخرى. واستغربت زوي ان يكون مكادم، وهو الرجل الوسيم البالغ من العمر ست وثلاثين سنة فقط، مصاباً بعمى القلب فيما يتعلق بالمرأة. لا شك في انه كان يتمتع بحاسة كامنة في طبيعته تمكنه من الافلات من شراكهن في آخر لحظة، ولكن ذلك لم يكن يبعث في زوي العزاء والاطمئنان.

ففي احدى المرات خشيت ان يخضع لاغراء فتاة سيئة الخلق لا يمكن لها ان تتحمل ابتعاده عنها ساعات طويلة في العمل في ميناء بناء السفن الذي يملكه. وهي لأجل هذا الميناء الذي يتوقف عليه مستقبل مكادم شعرت بضرورة احاطته بالعناية ومراقبة تصرفاته.

وداخل زوي الارتياح للعمل الذي انجزته تلك الليلة، الا انها ما ان وقعت عينها على مكادم حتى احست بانقباض مفاجيء. فهو لم يكن يدري ماذا كانت تفعل، وكيف له ان يدري؟ لا شك في انه سيستاء من تصرفها الأرعن في افشاء خبر المكالمة التلفونية التي جاءته من الآنسة فينتس، ولكنها حين تشرح له عذرها وكيف انها كانت متعبة الى درجة لم تكن عندها تعي تماماً ما تقول، سيكتفي بالقاء موعظة وجيزة عليها... ثم ينتهي الأمر عند هذا الحد.

وهل بامكانه ان يفعل غير ذلك؟

وهكذا عادت زوي الى الشعور بالارتياح. صحيح انها لم تكن سكرتيرة ماهرة بالمعنى المألوف، على الرغم من انها تتقن تهجئة

الالفاظ والضرب على الآلة الكاتبة، ولكنها كانت تلم الماماً واسعاً بكل ما يتعلق ببناء السفن، وهذا ما جعل من الصعب على مكادم الاستغناء عنها.

والتفت مكادم الى اورسولا وقال لها:

ـ هيا نخرج من هنا!

وبعد ان فتح باب السيارة وأغلقه عليها وعلى زوي التي جلست في المقعد الخلفي، سألها الى اين يمكنه ان يوصلها، فأجابت متذمرة:

ـ اما اخبرتني اننا سنذهب الى ملهى فيسانتي للرقص.

وكان فيسانتي الملهى الوحيد في تلك البلدة الصغيرة الواقعة على ساحل اسكوتلاندة الغربي.

ومالت زوي الى الأمام وأخذت تتسمع الى الحوار بينهما.

وقال مكادم لأورسولا:

ـ آسف لأني غيّرت رأيي . . . فأنا لا اشعر الآن بميل الى الرقص.

فأجابته قائلة:

ـ لا تغضب علي يا حبيبي . . . لمجرد اني كنت مضطربة!

ـ لم يكن هنالك سبب لاضطرابك.

قال ذلك فيما اخذت تحدق اليه وجفونها ترف من الحيرة. وأخيراً سألته قائلة:

ـ ماذا تعني؟

ـ اعني . . . متى تتعلم النساء التفكير أولاً ثم النطق ثانياً، بدل العكس؟

وساد صمت طويل. وبدأت اورسولا تفقد السيطرة على اعصابها مرة ثانية، فقالت:

ـ اذا كنت تسرعت في الوصول الى آراء خاطئة، فالذنب يقع على تلك الفتاة الحمقاء التي اتخذتها سكرتيرة لك!

ـ لها اسم . . . فلماذا لا تدعينها باسمها؟

ـ اعرف كل شيء عنها وعن عائلتها السيئة السمعة . . .

ـ صحيح؟

ـ نعم لها اسم، ولكن ليس الاسم الذي اريد ان ادعوها به. . . فهي فتاة فاجرة حقيرة. . . ارادت من كلامها على الآنسة فيتس ان تثير غيرتي وغضبي. . . وفي ذلك نجحت. فما من فتاة ترضى ان تستعمل كبديل لفتاة اخرى. . .

فقال مكادم بغير مبالاة:

ـ قد يكون كلامك مصيباً!

فصرخت اورسولا قائلة:

ـ عليها هي، يا ريس، يجب ان تصب جام غضبك واستيائك لا علي.

فتجهم وجهه وأجابها قائلاً:

ـ اذا كنت تتكلمين على زوي، فأمرها سأعالجه فيما بعد.

فصاحت بغيظ:

ـ يجب ان تصرفها من العمل!

فرفع حاجبيه بازدراء قائلاً:

ـ اهكذا ترتأين؟

فختمت اورسولا هذا الحوار بقولها:

ـ كل الناس يعلمون انك تتساهل معها وتغض الطرف الى اقصى حد عن تصرفاتها المشينة!

وهنا توقف مكادم امام بناية حديثة شامخة وقال لأورسولا:

ـ الى اللقاء يا اورسولا!

وراقبتها زوي بنظراتها وهي تخرج من السيارة وتسير نحو منزلها. وفكرت زوي ان اورسولا القت سلاحها واستسلمت بسهولة، فقالت لمكادم:

ـ لم اكن اتوقع منها ذلك. . .

فقاطعها مكادم صائحاً:

ـ اسكتي!

ـ كنت ابدي ملاحظة، لا اكثر ولا اقل!
ـ لا حق لك ان تبدي اي شيء... كفى!
فأجابت زوي بحماقة:
ـ لي الحق، كل الحق، ان اكون مجنونة. الم تسمع ما قالته لك عني؟

وفيما كانت زوي ترتجف من شدة التأثر، كان مكادم خرج من البلدة لأنه اراد ان يوصلها الى بيتها عن طريق الشاطىء. وكان هنالك ريح شديدة الهبوب وأمواج البحر تزبد وتتلاطم. فسألته زوي قائلة:
ـ الى اين انت ذاهب؟ انت تعلم اني اذا كنت لا اصل الى البيت في وقت باكر من الليل، فسيغضب علي جدي.
ـ هذا شيء يجب ان لا يقلقك كثيراً، فهناك ما يجب ان يقلقك اكثر بكثير... اريد الليلة ان اتحدث اليك في بعض الأمور.

فاظهرت زوي امتعاضها، خصوصاً لأن مكادم لا يزال شديد التوتر. ولكنها عزمت ان تكون باردة الأعصاب، فقالت له:
ـ اعتقد ان ذلك غير ضروري، الا اذا قلت الآن ما تريد قوله ونحن في طريقنا الى البيت.

ولما لم يتفوه بكلمة، ازداد قلقها واضطرابها. وكان معتاداً على ايصالها الى بيتها اذا عملت احياناً الى ساعة متأخرة من الليل، ولكنه لم يكن يأخذ طريق الشاطىء من قبل. وحين اوقف السيارة الى جانب الطريق فوق مرتفع مهجور، امسكت بذراعه وقالت:
ـ لماذا جئت بي الى هنا؟
فأجابها ببرود:
ـ اجيبي بنفسك على هذا السؤال.
فأفلتت ذراعه وهي تقول:
ـ بامكانك ان تقول غداً نهاراً ما تريد ان تقوله الآن!
ـ لا، هذه المرة اريد ان اقول لك شيئاً من دون ان يهجم نصف

العاملين لانقاذك مني.
فقالت وعيناها تحملقان خوفاً:
- ولكن، لماذا؟
فقاطعها قائلاً:
- لا تدّعي البراءة. كل مرة ارفع صوتي عليك يكون رجالي حاضرين لتقديم الأعذار عنك وانقاذك مني... اما الآن فلا احد هنا ليلعب دور المنقذ!
فصاحت والخوف يملأ قلبها:
- يبدو انك لم تعد تهتم بي... ولم اعد اعني لك شيئاً... اما هذا صحيح يا مكادم؟
- الأمر لا يعنيك في شيء.
- انا سكرتيرتك!
- لكن هذا لا يعطيك حق التدخل في شؤوني وحياتي الخاصة.
وتساءلت زوي كيف يقول هذا الكلام وهي التي ترافقه اربعاً وعشرين ساعة في اليوم تقريباً؟ فثارت في وجهه قائلة:
- ولكن لماذا تريدني ان اشرح لصديقاتك اللواتي هجرتهن كيف انك منهمك في العمل ولا تستطيع ان تجاوبهن على التلفون؟ اما هذا جزء من حياتك الخاصة؟
فتجاهل مكادم هذه الملاحظة وحدق اليها بعينيه الزرقاوين وقال:
- جدول اسماء صديقاتي اللواتي هجرتهن، كما يحلو ان تشيري اليهن، يزداد يوماً بعد يوم، على نحو غريب عجيب. ولكن لا علاقة لهذا الأمر بما حدث الليلة. فأنت تعلمين ان الآنسة فينتس هي التي تقترح تناول العشاء معي، لا انا. واذا كنت قبلت ان اتعشى معها هذه المرة، فلأني اريد ان انهي صفقتي التجارية مع والدها بخصوص بناء سفينتين جديدتين. وكان عليك ان تذكري هذه الحقيقة، فلا تثيري غيرة اورسولا كذباً وبهتاناً...

فسارعت زوي الى الدفاع عن نفسها بالقول:
ـ اما رأيت كيف كانت تنظر الي؟
ـ ولماذا لا يحق لها ان تنظر اليك كيفما تشاء؟ كانت ضيفتي.
ـ وماذا يعني ذلك؟
ـ يعني اني رئيسك...
فثارت اعصاب زوي لبرودة النبرة في كلامه، فقالت:
ـ لك ان تشدد على هذا الواقع يا مكادم، ولكنك لا تستطيع ان تستغني عن خدماتي... وأنت تدرك ذلك.
ـ نعم استطيع... ففي وسعي ان استبدلك بأورسولا... فقد يكون لدي سكرتيرة جديدة بامكانيات اخرى.
فصاحت به زوي:
ـ اياك، يا مكادم، اياك!
فأجابها بنبرة جافة:
ـ وأنت، اياك ان تخبريني ماذا يجب او لا يجب ان افعل!
وحدق كل منهما الى الآخر بعنف، كما كانت حالهما دائماً منذ كانت زوي طفلة، يوم جاء مكادم للعمل مع عمه في ميناء بناء السفن. اما الآن فهي في التاسعة عشرة، ولكن ذلك لم يغير من تلك الحال شيئاً.
وقالت له زوي:
ـ اذن، انت تعتقد اني مدينة لك باعتذار!
ـ الاعتذار، والا...
وعلا وجهها الاصفرار خوفاً من ان يصرفها من العمل، فقالت له:
ـ ارجوك يا مكادم ان لا تصرفني من العمل، فأنا احب ان ابقى الى جانبك!
فنظر اليها بصمت، ثم اجابها قائلاً:
ـ قد اسدي اليك خدمة اذا فعلت ذلك. فكل ما تفكرين فيه هو بناء السفن وما يجري هناك، ولا اظن ان هذا تصرف صحي سليم

من فتاة في عمرك... كم عمرك اليوم يا زوي؟
ـ انا في التاسعة عشرة.
ـ صرت في هذه السن ولم تري شيئاً من الدنيا بعد. هل وقعت في الغرام يوماً؟
ـ لو فعلت، اما كنت تعلم؟
ـ قد لا اعلم... فأنا اسافر كثيراً، وفي غيابي باستطاعتك ان تفعلي اي شيء.
ـ من عادتي ان اخبرك بكل حركاتي وسكناتي في غيابك عندما تعود. وأنت تعلم اني اصرف نهاري في المكتب وأمسياتي في الميناء، فلا وقت لي للوقوع في غرام احد!
فقال لها بهدوء وحنان:
ـ في وسعك ان تصرفي بعض الوقت في امور اخرى، بما في ذلك معاشرة الفتيان.
ـ وهل تعتقد ان احداً من الفتيان يبالي بي؟
ـ ولماذا لا؟ انت نحيلة القوام قليلاً، ولكنك جميلة المنظر على وجه العموم. بشرتك ناعمة، وعيناك ساحرتان، وشعرك كث وطويل ومصقول. ثم ان...
وتوقف متردداً عند ذكر شفتيها المليئتين الشهيتين، ثم تجاوزهما الى انفها، فقالت:
ـ اما تراه كبيراً بعض الشيء؟
ـ كلا، انه رائع جداً.
ـ لا اوافقك على ذلك.
ـ ولماذا لا؟
قال ذلك وأخذ يلامسه باصبعه، ثم قال:
ـ لعله مرتفع قليلاً، ولكن ذلك لا يضيره على الاطلاق!
فأخذ قلبها يخفق خفقاناً لم تعهده من قبل، فمالت الى الوراء وهي ترتعش وتقول:

ـ انت تضحك علي...
ـ لا... لا!
وفي ارتعاشها وحيرتها اعترفت له قائلة:
ـ ايان دعاني الى السينما مساء السبت المقبل!
ـ ايان غراهام؟
ـ نعم.
ـ وهل ستقبلين الدعوة؟
ـ لم اقرر بعد.

وصمت مكادم، فيما الأمواج تنكسر على صخور الشاطىء، ثم سألها قائلاً:

ـ هل انت معجبة بغراهام؟
ـ نعم كجميع الذين هنا.
ـ ولكن كوني حذرة يا زوي، فهو شاب متمرس في اجتذاب النساء.
ـ جميع الرجال كذلك، كما قال لي جدي. ولكن لا تخف، فأنا اعرف كيف ادافع عن نفسي.
ـ وما رأي جدك تاغرت؟ هل يسمح لك بمعاشرته؟
ـ سأهتم بذلك في حينه... جدي كما تعلم، رجل متعقل. فاذا اصررت على امر ما، فهو لا يقف في طريقي.
ـ وهل تصرين على معاشرة غراهام؟
ـ الآن؟ كلا.
ـ وهل هذا ممكن فيما بعد؟
ـ ربما، ولكن هل لديك انت اي اعتراض؟
ـ غراهام كلفني كثيراً. ولذلك افضل ان يحصر جهده في مشاريعنا الجديدة التي رصدت لها كثيراً من المال.
ـ وهل تعتقد اني سآخذ من جهده؟
ـ ربما.

فقالت زوي بعد صمت قليل:
- ولكني اشعر انه يشكو من الوحدة.
- لا تسمحي للعاطفة بأن تؤثر على عقلك يا زوي.
- لعلي انا ايضاً اشكو من الوحدة!
فقطب مكادم جبينه وقال:
- اية وحدة؟
- انا غير متأكدة... انه مجرد شعور!
- انت يافعة بعد، وشعورك لا بد ان يشوش عليك تفكيرك.
فحدقت اليه متسائلة حائرة وقالت:
- لا اتوقع منك يا مكادم ان تدرك ما اعانيه تماماً. ولكني كنت ارجو ان تكون اكثر تفهماً لحالي وللتغيير الذي اشعر انه طرأ علي. نعم، من الصعب شرح هذا التغيير لأني، في الحقيقة، لا افهم نفسي.
اجابها بنبرة حازمة:
- ستفهمينها عما قريب. وأنا لا اريدك ان تعاشري غراهام قبل ان تكتشفي اين انت من هذا كله!
وامتعضت زوي من كلامه التسلطي الذي طالما مارسه في علاقته معها، فأجابته قائلة:
- انا واثقة ان غراهام لن يؤذيني!
- هذا يتوقف على ما تعنينه بالأذى. الا تظنين انه اكبر منك سناً بكثير؟
- لم يتجاوز الثلاثين بعد، فهو اصغر منك سناً.
- لا تقارني بيني وبينه... انا لا انوي اقامة اية علاقة من هذا النوع معك.
- لم افكر يوماً ان لك مثل هذه النية...
قالت ذلك ومالت متسائلة لماذا تشعر بالضيق والغم. ونظرت الى وجهه المتصلب وجسمه الفارع القاسي الذي برهن عن شجاعة

وجرأة في مقارعة امواج البحر. وفجأة شعرت باعجاب عميق كان كامناً وراء خصومتهما المزمنة، وأدركت ان معظم ما حصلت عليه من معرفة للحياة كان بفضله هو دون سواه، وانه كان تقريباً على الدوام مصيباً في الرأي الذي يسديه اليها.

وما ان وعت كم كانت صلتها به حميمة، حتى صعد الاحمرار الى وجنتيها ومالت بنظراتها عنه. وبدأ شيء من التوتر على نحو ما، يتصاعد سريعاً ليقف بينهما ويدفعها الى القول:

- من الأفضل ان توصلني الى البيت، فالوقت متأخر، وجدي . . .

فقاطعها بحزم قائلاً:

- جدك ظاهرة اخرى في حياتك يجب ان تتغير.

وفيما هما في الطريق الى بيتها، ساد الصمت بينهما. وما ان وصلا الى البيت حتى وجدا الجد العجوز هناك في الانتظار، فقال:

- ماذا جرى حتى تأخرت كل هذا التأخر الليلة؟ اين كنت يا زوي؟

وكان تاغرت كير، جدها، رجلاً ضخم الجثة، طويل الشعر اشيبه، مسترسل اللحية، ذا عينين سوداوين، وكان طبعه الغاضب مشهوراً في البلدة وجوارها، مما كان يثير الرعب في القلوب. الا ان مكادم وحده كان يقف في وجهه، فقال له:

- انا سبب تأخرها يا تاغرت . . . كنت اتحدث الى زوي.

- بماذا كنت تحدثها؟

قال تاغرت ذلك فيما كان مكادم يساعد زوي على النزول من السيارة. وداخله الشك عندما رأى مكادم يطوق زوي بذراعه، فصاح به مكرراً سؤاله:

- بماذا كنتما تتحدثان يا رجل؟

فحدق اليه مكادم وأجاب قائلاً:

- كنا نتحدث بأمر لا يعنيك.

فانفجر تاغرت قائلاً:

- كيف لا يعنيني الأمر اذا كان له علاقة بحفيدتي؟ اطلب منك تفسيراً لمثل هذا التصرف.

وازدادت زوي اقتراباً من مكادم وكأنها تحتمي به. وغلى الدم في عروق تاغرت، وكذلك في عروق مكادم. وحاولت زوي الحؤول دون وقوع مجابهة بينهما، فقالت لجدها:

- لا لزوم لأي تفسير يا جدي. . . عملت الى ساعة متأخرة فغلبني النوم، وكان مكادم يمر بالمكتب مع الآنسة فندلي فوجدني نائمة. وهذا كل شيء.

فانبسطت ملامح وجه تاغرت المتجهم وقال لمكادم:

- عليك ان تغير اقفال المكتب يا ريس، على ان لا تعطي مفتاحاً لزوي. انت مديرها ومن واجبك ان لا تدعها تعمل هناك الى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل. فهي بدأت تكبر في السن وهذا يعرضها للشائعات والأقاويل.

فلمعت عينا مكادم وازداد التصاقه بها وهو يقول له:

- اي نوع من الشائعات والأقاويل يا تاغرت؟

- عنك وعنها. انت تعرف كم السنة الناس هنا طويلة.

- هذا اذا كانت لهم افكار مثل افكارك. . . اول رجل اسمع منه شائعة كهذه لن يعرف كيف تجيئه الضربة القاضية وهذا يشملك انت يا تاغرت!

وأحست زوي ان شيئاً ما يختلج في داخلها، فخاطبت مكادم قائلة وهي تدفعه بعيداً عنها:

- ارجوك يا مكادم، كفى.

وشكرته على مرافقته لها وحذرته من تهديد جدها لسبب يتعلق بها.

وقال مكادم:

- لن اكتفي بالتهديد. . . هل انت واثقة انك ستكونين معه الليلة

في امان؟

وفي الحال ادركت انه يتحدى جدها بطريقة غير مباشرة فأجابت:

ـ بكل تأكيد... سأكون في امان... في استطاعتي ان ادافع عن نفسي...

وقبل ان يهم بالصعود الى سيارته، استجمع تاغرت كامل وعيه من الصدمة التي وجهت اليه وعاد الى البيت وهو يقول:

ـ لا اريدك ان تأتي الى البيت في مثل هذه الساعة مع ريس مكادم.

وعندما اختلى بها في البيت قال لها:

ـ هل سمعت الكلام الذي قاله لي؟ لو كان عمه لا يزال على قيد الحياة لذهبت في الحال وشكوته اليه.

فقالت له زوي:

ـ الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة بعد يا جدي... واذا لم تلزم الصمت استفاقت على صراخك جدتي.

ـ هي على الأقل امرأة فاضلة ومحترمة، لا كمعظم النساء هذه الأيام!

ـ كفاك يا جدي... انا لست على هذا القدر من سوء السلوك، ولا يمكن اصلاحي.

ـ من واجبي ان اهتم بك وأراقبك من اجل والدك، يا زوي.

فتنهدت زوي عند ذكر والدها الذي تكاد لا تتبين ملامحه، لأنها كانت بعد طفلة حين لقي ابواها مصرعهما في حادثة ما.

فقالت لجدها:

ـ تزعم انك تخاف الله، ولكن الذي يخاف الله حقاً لا يتذكر الى الأبد سوء معاملة ابنه له... ثم ان والدي لم يرتكب اية جريمة.

ـ اصحيح هذا؟ الم اضحي بكل شيء لأوفر له تربية جيدة، فماذا فعل؟ زوج امرأة اجنبية حالما تخرج من الجامعة عوض ان يعود الى هنا لمساعدة جدتك ومساعدتي في شيخوختنا.

فأجابته زوي:
- آسفة لذلك، ولكن هذا لا يبرر...
فقاطعها مسترسلاً في الكلام:
- وفوق هذا كله، فأبوا ك سموك اسماً مستهجناً وعلينا ان نتحمل وزره طوال حياتنا.

وكانت زوي تحب اسمها، ولكنها كانت تأمل ان لا يكتشف جدها ان معنى هذا الاسم باليونانية هو «الحياة» كانت جدتها تعرف ذلك، غير انها عاهدتها ان لا تخبر زوجها به لئلا يزداد استياؤه. وكان تاغرت، في واقع الأمر، يحب ابنه الوحيد حباً شديداً وان لم يكن يتظاهر بهذا الحب.

وكانت والدة زوي امرأة يونانية يتيمة الأبوين رفضها اقرب اقربائها بعد ان تزوجت اسكوتلاندياً فقيراً لا يملك شيئاً. وكذلك فعل والده تاغرت، مما ادى الى ان تقضي زوي سنواتها الأولى في جنوبي انكلترة، حيث اشتغل ابواها في التدريس بجامعة شهيرة. ولم يكن الا بعد مصرعهما ان انضمت الى عائلة والدها الاسكوتلاندي.

ومنذ ان بلغت السابعة من العمر، بعثت الفرح في قلب جدها تاغرت مما اظهرته من براعة مبكرة في فهم صناعة بناء السفن. وكانت اخبرته، بطريقتها الخاصة، كيف ان والدها كان يملك زورقاً في نهر التايمس، وكيف كان يأخذها كل يوم تقريباً للابحار في ذلك الزورق.

وهكذا قضت زوي معظم وقتها الى جانب جدها في ميناء بناء السفن، تعمل بكد وجهد للالمام الماماً واسعاً بأسرار تلك الصناعة وتفاصيلها، بحيث لم تفتها شاردة ولا واردة.

وكان خال ريس مكادم المدعو فرخار ماكنيل رجلاً قاسي الطبع ولا وقت له لمداعبة الصغار، الا انه تحمل زوي لطيبتها وخفة دمها. وحين توفي ترك لها مئة جنيه. واذ لم يكن متزوجاً ورث مكادم، ابن اخته، كل ما يملك.

وكانت اخت فرخار، اي ام ريس مكادم، متزوجة لثري من عائلة في مدينة ادنبره. فلما توفي فرخار ارسلت ابنها ريس الى الحلول مكانه في صناعة السفن.

ومنذ اول يوم لوصوله الى عمله الجديد، اجرى اصلاحات هامة في الميناء. كان طويل القامة، عريض الكتفين، في الرابعة والعشرين من عمره. وكانت زوي في التاسعة تقريباً. ومع الأيام، اصبح مكادم رجل اعمال صغير يحلم بمشاريع جبارة. فانجز العجائب على حد قول خاله ولكن بمعاونة يد خاله اليمنى تاغرت كير.

وقاوم تاغرت طموح مكادم شبراً فشبراً، في ايامه الأولى قبل ان يشتد ساعده، ثم اقر له بأنه كان يعرف ما يفعل. وكانت زوي تسترجع الى ذاكرتها معاركهما العديدة التي كان فيها صراخ جدها يملأ الجوار، وكذلك رد مكادم على ذلك الصراخ. وكان مكادم قادراً في اغلب الأحيان على امتلاك اعصابه ولكن بصعوبة هائلة.

وتذكرت زوي، على الأخص، حادثة جرت لها مع مكادم ولا تزال تقف بينها وبينه. وهي انه في احدى المرات تملكه الغضب، لأن تاغرت تصرف تصرفاً مناقضاً لتعليماته، فلما طلب منه تفسيراً لذلك التصرف علا صياح تاغرت، فعمد مكادم الى اسكاته. ثم جرى تبادل الكلام القاسي بينهما فملأ الأجواء، حتى ان طيور البحر اركنت الى التحليق في الفضاء.

وكانت الجدة اوصت زوي ان لا تتدخل بينهما، ولكن زوي لم تستطع ان تلزم الصمت وتقف على الحياد فهجمت على مكادم بضراوة وأمرته ان يتوقف عن اضطهاد جدها.

ولكن مكادم دفعها عنه بعنف، من دون ان يأبه لها وقال لجدها:

ـ الا يمكنك ان تأمر هذه الفتاة الوقحة ان تلزم جدران البيت يا كير؟

فأجابته زوي بصوت عال:

ـ اياك ان تشتمني يا مكادم!

وهنا رفعها مكادم برقبتها وطرحها على ركبتيه امام انظار جميع العاملين في الميناء، وأخذ يضربها على قفاها غير مبال بصراخها، فيما شرع تاغرت ينتفض غيظاً ويهدد باستقالته. وحين افلتها مكادم، بدأت تكن له الكراهية ولا تخاطبه الا باسم عائلته لا باسمه الشخصي الذي هو «ريس». ولكنها حاولت مؤخراً ان تفعل ولكن بخجل وحياء.

٢- خذني حيثما تشاء

أوى تاغرت الى فراشه وهو لا يزال يدمدم ويهمهم، وكذلك فعلت زوي. وفي الصباح باكراً كانت في مكتب عملها. وكان مكادم سبقها اليه وشرع يتحدث الى ايان غراهام.

فقالت له زوي وهي تدخل الغرفة:

- صباح الخير.

فأجابها قائلا:

- صباح الخير يا زوي، سأراك فيما بعد.

ولم يبدر من مكادم سوى هزة رأس. وأملت زوي ان لا يستمر مزاجه المتعكر على هذه الحال طوال النهار.

وصعدت زوي الى الطبقة العليا، الى المكتب الرئيسي. وكان

المنظفون انتهوا من عملهم، تاركين المكان نظيفاً كل النظافة. وبعد ان علقت معطفها، فتحت الشبابيك للسماح للهواء النقي بالدخول.

ولم يكن البريد وصل بعد، ولكن كان هنالك الكثير مما تعمله. ومع ذلك، توقفت قليلا عند آخر شباك فتحته، فرأت ان شمس الصباح تداعب أمواج المرفأ. وكان شهر اذار (مارس) في تلك الانحاء شهراً كثير العواصف عادة، ولذلك لم يكن من العدل ان ينحبس الانسان بين أربعة جدران في ذلك الطقس المشمس.

وتطلعت الى البعيد، حيث يعمل بعض الرجال في اصلاح السفن الراسية في الميناء. وسمعت صدى هدير المحركات الآتية من المعامل الواقعة على المرتفع المشرف على الشاطىء، فتنهدت حسرة وتمنّت لو انها كانت، في طقس مثل ذلك الطقس، مع أولئك العمّال الذين كانوا هناك.

غير انها تغلبت على تلك التجربة واتجهت نحو طاولتها وجلست اليها، ثم رفعت الغطاء عن آلتها الكاتبة ودست فيها ورقة بيضاء. فمن الخير، اذا كان مكادم لا يزال معتكر المزاج، ان لا يأتي ويجدها عاطلة عن العمل.

وكانت، في معظم الأحيان، تتساءل ماذا كانت تفعل في ذلك المكتب؟ فمكادم هو الذي أصر عليها ان تتدرب كسكرتيرة، بعد ان اقنعت جدتها بعدم الذهاب الى الجامعة. وهذا لم يكن له أية علاقة بقضية والدها، وانما لكونها لم تكن مؤهلة للدراسة الجامعية العليا.

وفي هذا الشأن قالت لجدتها:

ـ أفضل ان أعمل في صناعة بناء السفن مثل جدي.

فأجابتها جدتها قائلة:

ـ مهما يكن من أمر، فمكادم لن يقبل بتوظيفك.

ـ ولكن جدي سيحال الى التقاعد قريباً، فمن سيحتل مكانه الشاغر؟

وحين طلبت من مكادم ان يوظفها رفض طلبها، فقالت له:
ـ وماذا أعمل اذن؟ أنا أعرف عن صناعة السفن اكثر مما يعرف أفضل مستخدميك.
ـ وكيف ذلك؟ وعلى كل حال سأخبرك ما يجب عليك ان تفعليه يا زوي كير. اذهبي وتدربي على الأعمال المكتبية وسأعطيك وظيفة تجريبية، فاذا أثبت انك مؤهلة للعمل كان به والا صرفتك.

ولم تكن زوي تثق بكلامه المعسول كل الثقة، فلعله كان يأمل من وراء ما قاله لها الآن ان يتحول اهتمامها بذلك في خلال السنتين اللتين ستتدرب فيهما على الأعمال المكتبية، وهكذا تخلص منها باللتي هي احسن.

وقضت زوي ستة أشهر في التدريب الى ان أخبرها جدها يوماً ان ريس تخاصم مع سكرتيرته وهو الآن يبحث عن واحدة. وللحال ذهبت زوي اليه وقالت له:
ـ وعدتني بوظيفة... والآن فأنت بحاجة الى سكرتيرة.
ـ لم تنهي تدريبك بعد.
ـ لا أريد ان أنهيه.
فتنهد مكادم وقال:
ـ اذا كنت تظنين ان العمل معي سيترك لك وقتاً كافياً تنفقينه في ورشة بناء السفن في الميناء فخير لك ان تعيدي النظر في طلبك.

ولكن زوي تمكنت من النجاح في عملها كسرتيرة لمكادم. فهي وان لم تكن فائقة الذكاء الا انها كانت من الذكاء بقدر واف. لا تستعمل القاموس الا لماماً، وكل ما يريد ان يعرفه الشاري عن السفينة التي ينوي شراءها كانت تزوده به في غياب مكادم. واذا كان لها من نقيصة فهي انها كانت تختفي احياناً لمساعدة عامل من العمال في عمله. وكان مكادم، لحسن الحظ، يعرف مكانها.

وفتح الباب خلسة ودخل ايان غراهام فوضع ذراعه على كتف زوي وقبلها على وجنتها قائلا:

- كيف حال فتاتي الحسناء هذا الصباح؟
فأجاب عنها مكادم وهو مقبل من الوراء:
- لا وقت لها لتسليتك ولو نصف ساعة!
فارتبك ايان وغادر الغرفة. واما زوي فاحتجت قائلة:
- وأي ضرر في ما كان يفعله؟
- هذا رأيك أنت... وعليك ان تخاطبيني بتهذيب في هذا المكان، أفهمت؟ عندما كنت لا تزالين في الثامنة او التاسعة من العمر ألقيتك على ركبتي وأدبتك تأديباً تستحقينه، فلا تجعليني ألجأ الى ذلك الآن.
- يمكنك ان تلجأ الى وسيلة أخرى...
فقاطعها قائلا:
- من السهل ان أفعل ذلك... ولعلك تفضلين نوع التأديب الذي يمارسه معك غراهام!
- كل ما فعل انه كان يقبلني على خدي.
- لم تقولي لي انه ذهب في علاقته معك الى هذا الحد...
فاحمرّ خداها. وكانت تلك هي المرة الأولى الذي قبلها فيها ايان، ولكنها لم تخبر مكادم بذلك، ولماذا تفعل؟
فقالت له:
- أنا آسفة.
وغادر مكادم الغرفة وأغلق الباب وراءه. وبعد قليل لحقت به زوي، فقال لها:
- الا يمكنك ان تدقي الباب قبل الدخول الى مكتبي؟ أم انك تعودت على قلة اللياقة وآداب السلوك...
فأجابته مدافعة عن نفسها:
- من عادتي ان أدق الباب او أخاطبك بالتلفون لأسألك اذا كان كل شيء على ما يرام... اذا كنت تعاني خيبة أمل في الحب هذا الصباح، فعندي خبر يعيد اليك صفاء مزاجك...

فقال وهو يميل الى الوراء على ظهر الكرسي:
ـ لن أحذرك مرة أخرى يا زوي، ولا لزوم للاعتذار... والآن اخبريني بهذا النبأ العظيم الذي سيغير مجرى حياتي!
فتنفست تنفساً عميقاً وهي ترتعش، ثم قالت:
ـ الآنسة فندلي تلفنت لتقول انها ستحيي سهرة- او لعل والدتها هي التي ستحييها- ليلة غد، وتدعوك الى حضورها.
وساد الصمت، ولم يظهر على وجه مكادم أي تأثر، فتابعت زوي كلامها قائلة:
ـ الآنسة فينتس ستحضر الى هنا في الحادية عشرة مع أبيها وأخيها اللذين وصلا في الليلة الفائتة الى البلدة فجأة وهما يودان مقابلتك. وطلبت مني أن أسألك اذا كان هذا الموعد يناسبك. ويبدو ان الأخ يريد ان يتأكد من أن عندك ما يريد شراءه قبل ان يتخذ قراره النهائي.
فقال مكادم ساخراً:
ـ هذا ما كنت بحاجة اليه... ان يأتي احد لا يعرف في الغالب شيئاً عن ركوب السفن ليخبرني كيف أدير عملي!
فقالت زوي بلطف:
ـ لعل الأمر لا يصل الى هذا الحد.
ـ لا أملك، مع الأسف، ايمانك في الطبيعة البشرية.
فهزت كتفها وهمت بمغادرة الغرفة حين سمعت بوصول ساعي البريد، فعاجلها مكادم بالقول:
ـ تلفني للآنسة فينتس وقولي لها انه يسعدني ان أستقبلها في الموعد المعين.
وبعد حين عادت زوي ببعض الرسائل التي وصلت بالبريد ومعها دفتر الملاحظات، فسألها مكادم قائلا:
ـ هل تريدين ان ترافقيني الى سهرة الآنسة فندلي يا زوي؟
ـ لا رغبة لي في ذلك.

- لا بل سترافقيني، ومن واجبك ان لا ترفضي طلبي.

ووضعت زوي الرسائل على الطاولة ووجهها متجهم بعض الشيء وقالت له:

- عليك ان تعيد النظر في طلبك هذا. اولا أنا لا أملك ثياباً مناسبة، وثانياً دعاني ايان غراهام الى السهرة معه يوم السبت مساء، وثالثاً لم توجه الآنسة فندلي ولا أمها الدعوة الي، فهما قد لا توافقان على حضوري.

فأجابها قائلا:

- اولا يمكنك ان تشتري ثياباً مناسبة للسهرة على حسابي، وثانياً أخبرتني انك لم تجيبي غراهام بعد على دعوته، وثالثاً أؤكد لك ان آل فندلي لا يعترضون على حضورك.

- وكيف تكون متأكداً من ذلك؟

- يكفي ان تكوني رفيقتي... وأنت لا تقلين عنهم شأناً. واذا كان جاك فندلي ينعم برتبة ارستقراطية، فهو ليس متعجرفاً ولا متكبراً..

ولم تكن زوي تنكر ذلك على جاك فندلي الأب، ولكنها لم تكن تطيق ابنته وامرأته. وقال مكادم لها:

- لا تحاولي اختلاق الأعذار. فأنا قلّما طلبت منك ان تفعلي شيئاً لأجلي خارج اعمال المكتب.

- إلاّ في الابحار.

قالت ذلك اشارة الى انها طالما رافقته في ركوب زورق كان يجربه او يستعين به على اختبار أفكار جديدة او أدوات حديثة. ثم أضافت قائلة له:

- لا أدري لماذا تصر على حضور تلك السهرة، خصوصاً وان غرامك بالآنسة فندلي قد انتهى!

فحملق بها قائلا ببرودة:

- هل انت واثقة من ذلك؟ واذا كان صحيحاً فأنت كنت السبب!

فبهتت لكلامه هذا، لكنها امتلكت نفسها وأجابت قائلة:
- اذن، لعلك تريد ان تأخذني معك لأكفر عن هذا الذنب الذي اقترفته. . . وبذلك تثير غيرة اورسولا!
- كلا، أنت مخطئة في هذا الاستنتاج. . . والوقت الآن لا يسمح لي بشرح الأسباب الحقيقية.
فنظرت زوي الى الساعة وصاحت:
- نعم، نعم. . . اقترب موعد قدوم الزائرين ولم أضع القهوة على النار بعد.
فقال مكادم وهو يخفي الرسائل في احد أدراج المكتب:
- لا داعي للعجلة.
وقضت زوي بضع دقائق في الاستعداد لمجيء الزائرين، وفي تهيئة القهوة، وهي تفكر كيف ستعتذر لايان غراهام عن مرافقته الى السينما مساء السبت. وشعرت انها كانت تفضل ان تبحر لوحدها على ان ترافق أياً من الرجلين. ولكن ما الحيلة، وما طلبه منها مكادم كان بمثابة امر عليها اطاعته، والا قد تتعرض للصرف من وظيفتها. وهي لن تقول لايان ذلك، لأنه لم يفعل ما يستدعي مجابهته بمثل هذا العذر الفظ. ثم انتهى بها التفكير الى القبول بمرافقة مكادم، ان لم يكن لشيء الا لمراقبة تصرفاته ومعرفة حقيقة علاقته بأورسولا.
ورجت ان لا تتأخر الآنسة فينتس وأبوها وأخوها في المجيء الى مقابلة مكادم. فلو تأخروا قد يتوارى مكادم عن الأنظار اذا بقي مزاجه متعكراً كما هو الآن، فتقع عليها وعلى ايان مسؤولية الترحيب بهم ومناقشة طلبهم، وهو أمر عودهما عليه مكادم منذ زمن.
وجاء الزائرون في الموعد المحدد. وكان السيد فينتس مشهوراً بكتابة الروايات التي تحولت في معظمها الى أفلام. وكانت زوي قرأت في بعض المجلات ان العديد من الكتّاب لا يراعون الأوقات والمواعيد، ولكن شارل فينتس، على ما بدا، لم يكن من هؤلاء.
وألقت زوي نظرة اهتمام الى ابنته التي تحدثت معها على التلفون دون

ان تلتقيها شخصياً مرة واحدة. وكان آل فينتس عائلة لندنية اشترت، لستة أشهر خلت، منزلا في جوار البلدة وهم الآن في صدد السكن هنا معظم أيام السنة.

وكانت زوي تظن ان الآنسة فينتس، من كلامها على التلفون، أكبر سناً مما هي وأقل جمالا. فاذا بها تجدها أكبر سناً ربما، ولكنها تتمتع بقسط لا بأس به من الجمال. وكان أخوها أصغر منها سناً، ربما ببضع سنوات، وهو على ما يظهر لم يتجاوز الثلاثين.

وقالت زوي للزائرين بابتسامة رصينة:

- تفضلوا. السيد مكادم بانتظاركم.

وكبست زر الجرس لتخبره بقدومهم، فأمرها ان تدخلهم الى مكتبه.

فيما هم داخلون سألها الشاب بصوت منخفض:

- هل أنت سكرتيرته؟

ولما أجابت بالايجاب همس في أذنها قائلا:

- سأتصل بك قريباً!

وبعدما صافحهم مكادم، طلب من زوي احضار القهوة. ولم يرقها منه هذا التصرف الجاف، ولكنها صبرت متأففة وذهبت الى اجابة طلبه. وحين عادت بالقهوة وجدت مكادم يشرح لزائريه بعض التفاصيل التي حفظتها منذ زمن بعيد عن ظهر قلب. وكان مكادم يحسن الكلام عن السفن، بحيث لم تضجر من الاستماع اليه.

ونهض فردي فينتس الشاب ليتناول طبق القهوة من بين يديها، فأدركت انه مهذب الى جانب فضائله الأخرى. وشعرت ان مكادم أحس بما كانت تفكر فيه بهذا الخصوص.

وفيما هي تسكب القهوة في الفناجين، لم يزح الشاب نظراته عنها. وحاول امتداحها فخاطبها قائلا:

- كنت مزمعاً ان أقول لمديرك، يا آنسة كير، اني أريد زورقاً يتصف بالسرعة ويكون له أقوى محرك أستطيع الحصول عليه. فأنا لا

أطيق البطء في أي شيء كان!
فقاطعه مكادم بتهذيب ولكن ببرودة:
- اختيار المحرك بعناية هو السبيل الوحيد الى بلوغ النتائج المتوخاة. ولذلك أنصحك، يا سيد فينتس، ان تحسن الاختيار اولا. فقوة المحرك لا تكون دائماً هي المعول عليه، بل المعول عليه هو الخبرة وحسن القيادة، خصوصاً في مياهنا الساحلية هنا.
فلم يؤثر هذا الكلام في السيد فينتس، اذ أجابه قائلا:
- لا تقلق يا مكادم، فأنا سرعان ما أتقن القيادة بعد الحصول على قليل من الخبرة. فمعلوماتي واسعة في هذا المجال.
فقال له مكادم:
- تهانيَّ على ذلك طبعاً... قرأت كثيراً من الكتب في هذا الموضوع، بل اني كتبت كتابين بنفسي... غير ان التجربة العملية، على مدى السنين، علمتني ان هناك فرقاً شاسعاً بين المعلومات الكتبية والخبرة هناك في البحر!
فضحك فردي فينتس وقال:
- هذا صحيح على الأرجح، ولكن ذلك لا يثير مشكلة عندي. سآخذ أحداً معي، ولمرة او مرتين، كالآنسة كير مثلا.
والتفت الى زوي مبتسماً وأضاف:
- لا أشك انك ستقبلين مرافقتي لتدريبي على بعض الأمور الصعبة التي أجهلها...
وفيما بعد، حين غادر آل فينتس المكتب، قال لها مكادم بعبوس:
- اذا قبلت دعوة ذلك الشاب الى مرافقته في الزورق تكونين فقدت عقلك.
فتطلعت اليه من بين اكوام الدفاتر على طاولتها في المكتب وقالت:
- لم احمل دعوته هذه على محمل الجد!
فقال مكادم بسخرية:

- اذن، لا أستغرب ان يقتل نفسه. يا للخسارة!
وهزت زوي كتفها غير مبالية وقالت:
- بذلت جهدك لايقافه عند حده، فلن أدعه يزعجك.
- أنا لا أشجع احداً على الانتحار...
- يمكنك ان تفعل ذلك حين تتناول طعام العشاء مع اخته!
- يا الهي، أي أذنين صاغيتين لك؟
- حين سألتك اذا كان موعدكما الليلة أكيداً، لم تكلف نفسها مشقة خفض صوتها، كما انه لم يبد عليك انك متردد في جعله أكيداً... فلماذا لا تأخذها برفقتك الى سهرة الآنسة فندلي غداً مساء؟

قالت ذلك بغضب ظاهر، فأجابها مكادم:
- أريدك ان ترافقيني ولا أستبدلك بأحد على الاطلاق.
- كيف لي ان أصدق كلامك؟
- أنصحك بأن تصدقيه.

واقترب منها كثيراً حتى انها استطاعت ان تتبين الخطوط السوداء التي تحيط بحدقتي عينيه الزرقاوين، وقال لها:
- صدقيني يا زوي... هنالك جانب من شخصيتي لا تعرفينه بعد، فلا تدفعيني الى أبعد مما أطيق!

هل هنالك جانب آخر؟ كانت معتادة على مزاجه الغاضب، وكذلك على مزاجه الهادىء، ولكن هذا الجانب الآخر ماذا عساه ان يكون غير الجانب الحسي؟

وارتعشت زوي وازداد خفقان قلبها، فقالت له:
- قد يسرك اثارتي يا مكادم، ولكنك لن تستطيع ان توجعني.
- يوماً ما قد أضطر الى ذلك...

قال هذا الكلام وهو يحملق فيها بتأثر بالغ، ومع انها لم تفهم ماذا يختبىء وراء نظراته الا انها شعرت بتوتر شديد في عروقها، كما لو انها قذفت في الفضاء عالياً ولا قدرة لها على المقاومة. وكان كل شيء

حولها غيوماً بغيوم، داكنة سوداء يتخللها لهيب النيران.

فنادته صارخة بشفتين مرتجفتين:

ـ كفاك يا مكادم!

ـ لماذا لا تحاولين دعوتي باسمي الأول: ريس؟ فقد تصبح الأمور اكثر سهولة وأقل تعقيداً!

وكان في نبرة صوته ما جعلها تعود الى كامل وعيها. لم تتبين ما هو، وقبل ان تفعل هزت برأسها قائلة:

ـ لا أعرف اذا كنت أستطيع...

ـ فليكن... سيأتي يوم تستطيعين فيه ان تفعلي.

فناشدته قائلة:

ـ انت تدرك اني أريد ان أفعل كل ما يسرك، وان لم يكن هذا الذي أريده واضحاً كل الوضوح!

فابتسم قائلا:

ـ هذه نكتة العام!

ـ انت تعقد الأمور احياناً وتجعلها مستعصية.

وهنا رفع حاجبيه الكثيفين واستدار للنظر من النافذة. ثم قال لها:

ـ أتعرفين ماذا أريد الآن ان أفعل؟ أريد ان أستقل الزورق وأبحر في مكان متلاطم الأمواج!

ـ وحدك؟

ـ كلا... معك!

ـ سيكون ذلك رائعاً... هيا!

ـ الابحار دائماً يستهويك يا زوي... ولكن ربما حان الوقت للتفكير في أمور اخرى.

قال ذلك بنبرة كئيبة، فما كان منها الا ان قالت:

ـ لا تحملني تبعة كآبتك بسبب اورسولا.

ـ معك الحق... ولعل الآنسة فينتس تضمد جراحي الليلة...

وأحست زوي فجأة بضيق الصدر، فقالت له:
ـ لا أعتقد انك بحاجة الى الخروج معها الآن!
ـ نعم، لا ضرورة الآن لبحث الصفقة التجارية معها، ولكن بيننا توجد امور اخرى.
فاستولى عليها الخوف والغضب، بحيث نهضت من مقعدها لتواجهه بضراوة وتقول له:
ـ كيف لك ان تفكر برفيقة اخرى بعد الآن؟
فأجابها وهو يمسك كتفيها بشدة:
ـ لا أفكر بشيء من هذا القبيل... حتى انت تدركين انه من المستحيل ان أجد مبرراً للخروج مع الآنسة كارول فنتس الى تناول العشاء... ولا أذيع سراً اذا قلت لك انها من النساء المدللات اللواتي لا خير فيهن... وأنا لا طاقة لي على اصدار الأمر ببناء زورقين جديدين، ان لم يكن لشيء فرحمة بالشركة والرجال الذين يعملون فيها... ولكني مستعد ان أتناول العشاء معها هذه المرة لا غير!
وأحست بثقل قبضته على كتفيها وهي تقول:
ـ ولكنك ستفسد سمعتك يا مكادم... كنت مع اورسولا في الليلة الفائتة، والليلة ستكون مع الآنسة فينتس، وغداً معي... ثلاث فتيات في أسبوع واحد! أما صدق جدي حين تخوف من أقاويل الناس؟
وأرخى مكادم قبضته عن كتفها وقال لها بهدوء:
ـ لا تنسي ان تخبري غراهام انك لن ترافقيه غداً الى السينما، لأنك سترافقينني انا الى السهرة.
وقامت زوي بعملها بقية النهار، حتى الساعة السادسة مساء. وكان مكادم في الميناء طول بعد الظهر. وعجبت كيف انها كانت تسترق النظر من النافذة، بين الحين والآخر، لالقاء نظرة عليه. ولم يكن لها الا ان تعترف بأنه كان رجلا جذاباً، ولكنها استغربت كيف

ان ذلك لم يدر في خلدها من قبل. وهل يحق اذن، ان تتساءل لماذا تقع النساء في غرامه؟

وبعد ان خرجت من المكتب وقفت بجانبه لتودعه. وكان معظم العمال ذهبوا الى بيوتهم، ولكنه بقي منهمكاً في العمل وقد شمر عن ساعديه رغم برودة الطقس. كان فارع القامة، صلب العود، صادق الرجولة. وكان مثل البحر سيداً حراً، وفي وسعه ان يتغلب على كل شيء...

وحاولت زوي ان لا تنظر اليه وهي تخبره انها أقفلت ابواب المكتب. وقالت له قبل ان تتركه:

ـ لا تتأخر عن موعدك معي!

وكان موعدهما في الثامنة والنصف من مساء غد، وفي الموعد المعين أوقف سيارته أمام منزلها. ثم نزل وطمأن تاغرت وزوجته انه لن يتأخر في السهرة الى ما بعد منتصف الليل، وانه اذا تأخر قليلا فلا داعي للقلق.

وقال لزوي وهما في طريقهما الى السهرة:

ـ هل اغتاظ جدك كثيراً مما حدث بيني وبينه ليلة الخميس الفائت؟

ـ اغتاظ قليلا.

ـ آسف لأني فقدت أعصابي في ذلك الوقت.

ـ هل هذا ما جعلك تقول ما قلته؟

وكان مكادم يقود السيارة في قلب البلدة، والى يمينه البحر والى يساره الفنادق والمخازن الكبرى وبعض المكاتب. وكان الطريق مزدحماً بالسيارات، مما اضطره الى التركيز على القيادة فنسي ما كان يقوله. ولم تشأ زوي ان تذكره، بل اهتمت بالنظر من نافذة السيارة الى البحر الذي بدا لها متموجاً وعاصفاً تحت سماء متجهمة دكناء.

وسرعان ما وصلا الى منزل آل فندلي، فقطبت جبينها لأنها توقعت ان تجد الطريق اليه مزدحماً بسيارات المدعوين، بخلاف ما كانت

عليه الحال.

وقالت لمكادم:

ـ نحن أول القادمين على ما يبدو.

وأظهر مكادم استغرابه وهو يوقف السيارة ويتطلع حوله. ثم دعا زوي الى النزول.

فنزلت وسارت الى جانبه نحو المنزل، حيث قرع الجرس وسمع صداه في الداخل. وبدا لهما ان المنزل خال، مما بعث الرعشة في جسم زوي.

وقرع مكادم الجرس ثانياً وثالثاً، ففتح الباب واذا بأورسولا واقفة أمامه وهي ترتدي ثوباً منزلياً شفافاً. فقالت بغنج ودلال:

ـ ما هذه المفاجأة السعيدة يا حبيبي ريس؟

وحين وقع نظرها على زوي قالت مستغربة:

ـ ماذا تفعل هذه هنا الآن؟

فقطب مكادم جبينه وقال لها:

ـ قيل لي انك دعوتني الى سهرة عامرة في البيت؟

فأجابت باستغراب:

ـ سهرة؟ نعم، ولكن في الاسبوع المقبل لا اليوم!

فزم ريس شفتيه قائلا:

ـ ألم تتلفني لزوي؟

ـ نعم، ولكن حصل سوء تفاهم على ما يبدو.

فقالت زوي باستياء:

ـ أنا متأكدة من الموعد الذي ذكرته، وهو اليوم لا الاسبوع المقبل...

فقالت اورسولا بسخرية:

ـ أما نصحتك ان تجد لنفسك سكرتيرة أخرى يا ريس؟ فهذه الفتاة لا تستطيع ان تنقل رسالة بسيطة سهلة كهذه!

فشد مكادم على ذراع زوي حتى كاد يسحقها وقال:

ـ هكذا يبدو لي.
وأضافت اورسولا قولها:
ـ لم أدع هذه الفتاة الى السهرة لا اليوم ولا في الاسبوع المقبل، فهل أخبرتك اني دعوتها؟
فهز مكادم كتفيه وهو يحدق بثوب اورسولا الشفاف وقال:
ـ نعم، انه سوء تفاهم.
فقالت اورسولا:
ـ لا بأس.
وسرها انها جذبت اهتمام مكادم بها، فتجرأت على القول:
ـ ما رأيك ان ترسل الآنسة كير الى بيتها وتبقى معي، يا حبيبي ريس؟ أبواي في سفر هذين اليومين، والخادمة في عطلة، ولا أحد سواي هنا، وأنا أشعر بوحدة قاتلة...
فتنهد مكادم وأجابها قائلا:
ـ آسف يا اورسولا. يجب ان أوصل زوي الى بيتها بنفسي، لأني هكذا وعدت ذويها.
فقالت له:
ـ ولكن بامكانك ان تفعل ذلك وتعود الي.
ـ في فرصة أخرى يا اورسولا.
واستدار ممسكاً بذراع زوي التي أخذت تصيح به:
ـ اتركني، ففي امكاني ان أجد طريق البيت لوحدي.
ـ كلا، لا يمكنك ذلك!
ـ كيف تفعل هذا بي... أنت وهي أيضاً...
فانتهرها مكادم وهو يخرج السيارة الى الطريق العام ولكن زوي اصرت على القول:
ـ انها تكذب... وأنت صدقتها.
ـ من قال اني صدقتها؟ ولكن ربما كنت أنت على خطأ في موعد السهرة!

- كلا، لم أكن على خطأ.

- كلنا نخطىء... ربما كنت آنئذ سكرى تحت تأثير قبلة ايان لك، وعقلك منشغل في التفكير به لا بعملك. هذا ممكن... والبرهان على ذلك ان القهوة التي قدمتها للزائرين كانت باردة...

فقاطعته قائلة:

- انا لست مغرمة بايان، ولا كنت تحت تأثير قبلته، وما من أحد تؤثر به قبلة وتجعله يشرد ولا يدري ما يفعل...

فأجابها مهدداً:

- قبل ان تتقدم بك السن سأريك الى أي حد أنت مخطئة في قولك هذا.

وازداد قلب زوي خفوقاً ولكنها لم تتراجع، بل صاحت به:

- اذا كنت لا تدرك بنفسك ان اورسولا خططت كل هذا عن قصد وعمد، فلا شيء يمكنني ان أقوله ليقنعك... حتى الثوب الشفاف الذي كانت ترتديه عمل مخطط له ومدروس...

فابتسم قائلا:

- كان ذلك الثوب، في الواقع، مغرياً جداً!

فأجابته بسخرية:

- أفضل الموت على ارتداء ثوب مثله... وأريد ان أسألك لماذا لم تخبر الآنسة اورسولا انك أنت الذي ارغمتني على المجيء معك الى السهرة؟

فرمقها بنظرة جانبية وقال:

- بدا لي ان لا معنى لاخبارها بأي شيء، وأن قلة الكلام معها أفضل بكثير من كثرته... اما رأيت كيف أسرعت بك الى العودة من حيث جئنا؟

- اذن، لا شأن لشعوري في هذا كله!

- أجيبي على هذا السؤال بنفسك... والآن قبل ان نتقاتل، علينا ان نقرر كيف نقضي بقية السهرة.

ـ بقية السهرة؟ ليتك تقضيها بالتحدث الى جدي.
ـ لا، شكراً. لا أشعر بميل الى سماع محاضرة أخرى عن ماذا يجب ان أفعل حتى لا أسيء الى سمعة حفيدته... اقترح الذهاب الى مكان آخر. هل تناولت طعام العشاء؟
ـ كلا.
ـ اذن، دعينا نذهب الى حيث نأكل ونشرب ونرقص.
وحين اظهرت بعض التردد قال لها:
ـ اذا كنت مصرة على العودة الى البيت، فبامكاني ان أعود الى زيارة اورسولا!
فرمقته بنظرة تأنيب وهي تقول:
ـ خذني الآن الى أي مكان تشاء... فأنا بين يديك!

٣- تعالي الى بيتي

وفيما مكادم وزوي يتبعان الطريق المحيطة بالبلدة، مالت زوي الى الوراء على مقعدها بجانب مكادم وافسحت في المجال للشعور الدافىء الهنيء. كانت تلك هي المرة الأولى التي تخرج فيها هكذا مع مكادم، ولذلك عزمت على أن تستغل المناسبة كل الاستغلال.

صحيح أنها كانت أحياناً ترافق مكادم في نزهة بحرية، وفي تلك النزهات كان الانسجام بينهما على أشده. وكان مكادم هو الذي يقود الزورق ويصدر الأوامر، ولكنه قلما أصدر أمراً، لأنها كانت تدرك مسبقاً ما يجول في خاطره. وكانت زوي تعتبر تلك النزهات من أهنأ أيام حياتها، وهي لا تنفك تتذكرها وتتشوق الى تكرارها.

أما في البر، على اليابسة، فلم تكن علاقتهما تخلو من المشاجرة

الكلامية المتكررة. ففي المكتب، أو في ميناء بناء السفن، كان عند كليهما شعور كامن متبادل بالعداء، سرعان ما ينفجر عند أقل مناسبة ويتحول الى خصام. وكثيراً ما كانت زوي هي الخاسرة لأنها لم تكن نداً له. وحين بدأ في الأيام الأخيرة يمازحها قليلاً أشكل عليها الأمر ولم تستطع أن تتبين السبب. على أن ذلك المزاح لم يكن يتصف بأي لون من ألوان اللطف والحنان.

وسألته قائلة:

ـ الى أين نحن ذاهبان؟

ـ الى مكان لم يعد بعيداً من هنا...

وبعد دقائق انعطف بالسيارة الى باحة فندق كبير لم تكن تعرفه، فقالت:

ـ أتراه مفتوحاً للزبائن؟

ـ على مدار السنة... والاّ لما كنا جئنا اليه.

ـ اذن، كان سؤالي سخيفاً.

ـ نعم.

ولم يكن هذا الحوار تمهيداً مشجعاً لسهرة هانئة بين رجل وامرأة. وتنهدت زوي وهي تتطلع حولها. كان في باحة الفندق عدد كبير من السيارات الفخمة، فقالت بتردد:

ـ يبدو أنه مكان أنيق!

ـ وأنت كذلك... على أني أرجو أن لا تتصرفي تصرفاً مشيناً!

ـ سأبذل كل جهدي...

فاغتاظ مكادم وصاح بها قائلاً:

ـ أياك والشعور بالنقص والضعة... يكفيني لسانك السليط.

وأحست زوي برعشة تسري في عروقها، وأوجعها كلامه أكثر مما لو انهال عليها ضرباً. ولكنها كظمت غيظها وحاولت النزول من السيارة، فهب الى مساعدتها وهو يقول:

ـ لا تنسي أن تحلي حزام المقعد...

ولما ارتبكت في حله سارع الى معونتها، وبذلك اقترب منها اقتراباً حميماً فتراجعت قليلاً، مما جعله يقول لها:

- لا تخافي، فأنا لا أعض!

وهنا أسبلت جفونها غير قادرة على التطلع اليه، وكان الشعور الذي أحست به عندئذ لا عهد لها به من قبل. فلأول مرة اجتاحها الوعي الكامل لما كان يستمتع به من جاذبية جبارة وشيء بينهما لم يوصف بعد كان يثير فيها الشكوك والمخاوف.

وفجأة انحنى مكادم وعانقها عناقاً خاطفاً. ثم تناول وجهها بين يديه بحنان وأماله الى الوراء وأخذ يعانقها. وأسرف في ذلك حتى كاد قلبها الخافق يطير من بين ضلوعها.

وبعد قليل افلتها قائلاً:

- هيا يا زوي، اخرجي!

واستولى عليها الرعب وهي تخرج من السيارة. ونظرت الى عينيه، فرأت فيهما بريقاً غريباً جعلها ترتجف. وقالت:

- لماذا عانقتني هكذا؟

ولم يجبها في الحال. وعلا الاحمرار خديها وهو يحدق اليها شارد الذهن. ثم قال:

- ظننت أن ذلك قد يضع حداً مؤقتاً للجدال والمشاحنة بيننا!

ولكن هذا الجواب لم يزدها الاّ رغبة في النظر اليه بحيرة وشك. ومع ذلك قالت:

- فليكن كما تقول...

فتنهد وعادت الصلابة الى ملامح وجهه وهو يقول:

- لماذا تتصرفين كما لو كنت تحققين في جريمة... هذا غالباً ما يحدث بين رجل وامرأة دون تخطيط ولا مجال فيه للشرح والتفسير.

ولم يكن في وسعها أن تنكر ذلك، وعلى الرغم من ارتياحها الى اعتبارها امرأة الاّ أن هذا لم يساعدها على الخروج من ذهولها وضياعها. وكانت الاحاسيس التي لا عهد لها بها من قبل تعصف في

داخلها وتشهد على أنها عديمة الخبرة في مثل تلك الأمور.
وقال لها مكادم:
ـ هيا ندخل الى الفندق يا زوي.
وكان الفندق يغص بالزبائن. بينما غرفة الطعام على وشك أن تغلق أبوابها، الاّ أنه كان هنالك غرفة جانبية تقدم طعاماً خفيفاً. وفيما هما يأكلان، أدركت زوي كم كانت جائعة، وكم كان الطعام لذيذاً.
ولم يتكلم مكادم كثيراً. كان يبدو عليه التعب والاجهاد، أو هكذا ظنت زوي. ولعل ذلك راجع الى أنه قضى معظم ليل أمس مع الآنسة فينتس. وثارت فيها الغيرة حين خطر ذلك في بالها وتساءلت كيف يا ترى أمضيا الوقت معاً.
وعلا الاحمرار وجهها حين أدركت انه رآها تحدق اليه. فسألها قائلاً:
ـ والآن ماذا بعد؟
ـ لا شيء. انما يبدو لي أنك متعب.
ـ اذن، علي أن اقنعك بأني غير متعب، والا أصررت على الاعتقاد اني قضيت معظم ليلة البارحة مع الآنسة فينتس!
فارتبكت وقالت:
ـ كيف أدركت ما كان يجول في خاطري؟
ـ لم يكن من الصعب أن أدرك ذلك... وأؤكد لك أني عدت بالآنسة فينتس الى بيتها في ساعة غير متأخرة من الليل.
ـ اذن، لا بد أن تكون أورسولا السبب في التعب الذي يبدو عليك.
فصاح بها قائلاً:
ـ أنت يا زوي كالكلب الذي في فمه عظمة.
فاجابته بغضب:
ـ اني اظهر اهتمامي بك، لا أكثر ولا أقل، وبالشركة أيضاً

اذا شئت!
ـ اني اقدر لك هذا الاهتمام.
ـ ومن واجبي أن أنبهك الى أمر هام، وهو أن رفيقاتك كثيرات!
ـ ولكني لا أفكر الآ بواحدة على حدة... والليلة أنا معك أنت وحدك...
ـ أنا لست من رفيقاتك يا مكادم!
ـ الا تريدين أن تكوني واحدة منهن؟
ـ لا أجيد المنافسة...
ـ اذا كانت المنافسة تنحصر في اللسان السليط فلا تقلقي، لأنك ستكونين الرابحة! وابتسم بابتسامة تخلو من المداعبة وأضاف قائلاً:
ـ لن أؤدبك... ولن أعانقك ثانية... فلا رغبة عندي لتكرار التجربة مع فتاة مشاكسة مثلك!
فآلمها كلامه، خصوصاً حين تذكرت كيف ذابت ذوباناً بين ذراعيه وحين أضاف الآن قائلاً:
ـ نعم، مشاكسة... أم لعلك نسيت كيف تنكمشين على نفسك كلّما حاولت أن ألمسك!
ـ أنا أفعل ذلك دفاعاً عن النفس.
ـ ولكنك لم ترفعي سوراً بينك وبين غراهام عندما عانقك، ولا عندما ابتسم لك فردي فيتس مغازلاً!
ولم تشأ زوي أن تصرح له بحقيقة الأمر، وهي أنها تعتبره رجلاً من نوع آخر، رجلاً يتفوق على كل الرجال الذين عرفتهم، رجلاً تخشاه وتخشى الوقوع في شراكه من دون أمل في الخلاص.
وفوجئت، بل شعرت بالارتياح حين نادى الخادم وطلب كأسين من الشراب. وما ان جلب كأسها المليء بعصير الليمون حتى جرعته بعجلة، ولكن فقاقيعه تطايرت ودخلت انفها، مما جعلها تسعل. فقال لها مكادم وهو يناولها منديله:
ـ يبدو لي من الطريقة التي شربت بها هذه الكأس أنك كنت في

حاجة اليها.

وقبل أن تجيبه ارتفع صوت بمناداتها، فاذا بآل فينتس مقبلين نحوهما بسرعة. وصاحت الآنسة كارول:

ـ ريس، السيد مكادم، يا لها من مفاجأة سارة!

فتمتمت زوي متذمرة، ولكنها ابتسمت حين نظر اليها مكادم بازدراء وهو ينهض للترحيب بهم قائلاً:

ـ أنا وزوي في طريقنا الى الغرفة المجاورة للرقص!

فقال له فردي وهو يرمق زوي بنظرة اعجاب:

ـ انتهينا الآن من تناول طعام العشاء... انه لمكان جميل حقاً هذا الذي دللت كارول عليه ليلة امس...

فقاطعته كارول قائلة:

ـ نعم، ولذلك عزمنا على المجيء اليه... والدتي لم ترافقنا لأنها تخاصمت مع والدي... وأنا متأكدة أنها لو رافقتنا لاعجبت بالمكان كثيراً.

ولم يتفوه شارل فينتس الاب بأية كلمة، فنظرت زوي اليه محتارة في امره. ولزم مكادم الصمت أيضاً، دون ان يبدو على وجهه ما يدل على ما يخالجه من شعور.

والتفتت كارول اليه قائلة بابتسامة:

ـ قلت انكما ذاهبان الى الرقص، فهل تمانعان بأن نرافقكما؟

وتمنت زوي أن يجيبها مكادم بالرفض، لئلا يتعكر صفو ليلتهما أكثر مما تعكر حتى الآن. غير أن ذلك، بالطبع، لم يكن ممكناً.

واجابها مكادم:

ـ لن نبقى هنا طويلاً، ولكن على الرحب والسعة.

وقالت له زوي وهما في حلبة الرقص:

ـ هل تواعدت معهم الى اللقاء هنا؟

ـ كلا!

ـ انها، اذن، مصادفة غريبة!

ـ ارجوك يا زوي، لا تزيدي الجو تعكيراً أكثر مما هو عليه حتى الآن.

وشدها حول خصرها بعنف موجع. وأما هي فخطر لها أن هذه هي المرة الأولى التي تسهر فيها معه على هذا النحو. فمن قبل لم تقترب منه كل هذا الاقتراب، ما عدا تلك الحادثة التي جرت لهما في السيارة. كان واحدهما يلائم الآخر تماماً، غير أن جسمها كان يشكو من شدة الحساسية. فظهرها حيث يلامسه مكادم بأصابعه وهو يراقصها كان يتقد كالجمر، وعبثاً بذلت جهدها في الظهور بمظهر الفتاة الرائقة. ذلك أن العواطف التي تستعر في داخلها كانت تهددها بالاحتراق.

وهمست في اذنه قائلة:

ـ مكادم... اشعر...

فقاطعها منتهرا:

ـ لا يهم الآن ماذا تشعرين!

وأبعدها عنه قليلاً، غير أنها ازدادت رغبة في التعلق به والنظر اليه بعينين ناعستين شاردتين. وحين أدركت أن وجهه بمثابة قناع لا يتأثر بشيء، شعرت بأن جسمها يتصلب وينطوي على نفسه.

وقالت له بذلة:

ـ انني احياناً لا أستطيع أن أفهمك.

ـ ولا تستطيعين أيضاً ان تفهمي نفسك. والى أن تدركي تماماً ما تفعلين، أياك ان تلعبي بالنار... الاّ اذا كنت مستعدة أن تقبلي بأكثر مما راهنت عليه.

وحارت زوي في ادراك ما يعنيه. فهل يكون كلامه تحذيراً لها من التدخل بينه وبين رفيقاته؟ فقالت بمرارة:

ـ أدركت معنى كلامك...

ـ أشك في ذلك!

ـ ليتني خرجت للسهر مع ايان هذه الليلة، فهو على الأقل

يسهل فهمه.

- هذا صحيح. فلا تعقيد ولا مشاكل في العلاقة معه، لأنه ينشد غاية واحدة لا غير، وهي كيف يقنع المرأة بأن تشاركه الفراش. وكلما كانت الفتاة عذراء ساذجة، سهل عليه الأمر.

وحدقت اليه زوي بعينين واسعتين وقالت:

- ايان غير معقول!

فهز رأسه قائلاً:

- جربي تتأكدي من صدق ما أقول... ولكن لا، لا أريدك ان تجربي على أمل أن تبرهني عن خطأ رأيي فيه.

وبعد صمت قليل تابع كلامه قائلاً:

- أقول ذلك لصالحك، لئلا ترمي أثمن شيء لديك الى رجل لا يستحقه.

فأجابت بغيظ:

- ربما يكون هذا خيراً من الاحتفاظ به لرجل لا يريده!

- ومن في رأيك لا يريده؟

- لا أقصد أحداً على الخصوص.

- بلى، انت تقصدينني ولا يحق لك ان توجهي الي مثل هذه الاهانة!

فتفاقم غضبها وقالت:

- اتمنى لو أوجه اليك أكثر من اهانة...

وحين أدركت أن غيظه بدأ يشتد، سرها أن تتوقف موسيقى الرقص. ولكن على الرغم من الكلمات القاسية التي تبادلاها، فانها شعرت بالخيبة. ذلك أنها كانت تتطلّع بشوق الى الرقص مع مكادم، على ان كل ما فعله هو تكرار النصائح والمواعظ.

وكان شارل فينتس الأب جالساً الى طاولتها وعيناه تحدقان الى فتاة شقراء، فتعجبت زوي من هذا التصرف.

ودعا مكادم الآنسة فينتس الى الرقص معه، وما أن بلغا حلبة

الرقص حتى سمعتها زوي تسترسل في الضحك وهي تقول:
ـ انظر كيف يحدق والدي الى تلك المرأة الشقراء!

وخطر لزوي أن ذلك هو سبب الخصام الذي وقع بينه وبين زوجته. ورأت أن وجهه وسيم ولو مع بعض التجاعيد. وحين قادها فردي فينتس الى حلبة الرقص قالت له:

ـ هل يشعر والدك بالكآبة؟ آسف لهذا السؤ ال عن أمر لا يحق لي التدخل فيه!

فاكتفى فردي بالضحك وقال:

ـ لا تقلقي يا حلوتي... فقضية والدي لم تعد سراً... زوجته فقدت حسها الزوجي، وهي الثالثة ولا قرابة لي بها. ولكني أنا وكارول متفاهمان معها ونتفهم موقف الوالد. فهو يسعى لاشباع عواطفه حيثما تتاح له. والاعجوبة هي أنهما لا يزالان يعيشان تحت سقف واحد.

وحارت زوي في امرها ولم تعرف ماذا تقول. واستغربت كيف يتحدث الأبن عن والده بمثل هذه الصراحة مع الغرباء. واذا كانت لا تحب الطريقة التي يعيش بها السيد شارل فينتس حياته، فهي لا تحب على الاطلاق طريقة ابنه فردي أيضاً.

وقال لها فردي:

ـ هل تريدين أن تسمعي أكثر؟

فهزت رأسها في دهشة، خصوصاً حين لمحت في نظراته اليها انه يعتبرها فتاة رجعية السلوك، مما أثار فيه روح المرح واللهو. وقالت له:

ـ لا أعرف ماذا يجري بينكم ولا يهمني أن اعرف. فلكل انسان حياته الخاصة به!

فاجاب قائلا:

ـ يبدو لي ان الناس هنا لا يريدون ان يتخلوا عن الافكار المستقيمة الضيقة...

فردت عليه وعلامة الانزعاج بادية في نبرة صوتها:
ـ لا تكن غبياً.
فضحك وقال:
ـ خذي السيد مكادم مثلاً، فأنا لا أظنه يتصرف كملاك.
فأجابت قائلة بخشونة:
ـ لا أريد أن أتحدث عنه.
ـ اذن، انظري اليه الآن يا حلوتي، كيف يطوق كارول بذراعه وهو يراقصها... وانظري كيف تشده كارول اليها وذراعها حول عنقه...
ورفع مكادم رأسه وتطلع الى زوي من فوق رؤوس الراقصين. ولمحت زوي الهزء والسخرية في نظراته. وآلمها أنها، وهو يتصرف مع كارول هذا التصرف، لا تستطيع الدفاع عنه أمام فردي.
وقال لها فردي متمتماً:
ـ وأنا بحاجة الى بعض الاثارة يا حلوتي... ما رأيك أن نتناول طعام العشاء معاً في الأسبوع المقبل؟
وكانت زوي عادت الى صوابها فرفضت دعوته قائلة:
ـ لا أعرف ماذا سأفعل في الأسبوع المقبل... فما عليك الاّ ان تتلفن لي.
وأملت في أنه سينسى أو ينشغل. وأحست أن ما يعانيه هو الضجر والوحدة، فتمنت ان ينصرف الى ايجاد عمل ينفق فيه وقته، عوض ان ينفقه في البحث عن رفيقة.
وبعد حين غادرت المكان مع مكادم. فقال لها مكادم بعد صمت، وهما في طريقهما الى البيت:
ـ ارجو أن تكوني تمتعت بسهرتك.
فاجابته ببرود قائلة:
ـ نعم، كما توقعت...
ـ يبدو لي من جوابك أنك غير متحمسة... فهل ارتكبت خطأ ما

في سلوكي نحوك؟
ـ لا أظنك تنتظر مني أن أكون متحمسة، خصوصاً بعد أن أسأت التصرف معي الليلة مرتين. . .
فقاطعها مكادم بعصبية ظاهرة:
ـ مرتين؟ هذا يثير اهتمامي يا عزيزتي، فدعينا نبدأ بالمرة الأولى. . .
ـ نعم، المرة الأولى هي الطريقة التي كنت تحدق بها الى اورسولا وهي في ثوبها المنزلي الشفاف، اذ بدا عليك أنك تريد ان تلتهمها التهاماً.
كان كلامها هذا على شيء من المبالغة، بالطبع.
ـ والمرة الثانية؟
ـ المرة الثانية هي الطريقة التي كنت تراقص بها كارول فينتس. . . كانت تطوق عنقك بذراعها!
ـ نعم، هذا صحيح. وماذا كان علي أن أفعل في رأيك؟
ـ لا أدري، ولكن تصرفها هذا وقبولك به أمر سخيف حقاً!
ـ هل اختبرت مثل هذا التصرف؟
ـ كلا!
ـ لو فعلت، لوجدته شيئاً ممتعاً حقاً!
ـ ما الذي يجعلك تعتقد هذا الاعتقاد؟
ـ عانقتك مرة، الا تذكرين؟ فوجدت أنك موضوع قابل، وان لديك في هذا المجال امكانات ممتعة.
فازعجها هذا الكلام ودفعها الى القول ببرودة:
ـ فردي فينتس يرى رأيك هذا!
ـ وهل ذلك يعني أنه دعاك الى السهرة معه؟
ـ نعم!
ـ وانت رفضت، بالطبع!
ـ طلبت منه أن يتلفن لي في الأسبوع المقبل. . .

ـ وحين يتلفن ستقولين له انك على موعد ولا يمكنك تلبية دعوته!
ـ واذا لم أكن على موعد؟ فهل تريدني أن أكذب؟
ـ سأنظر في الأمر... حتى ولو كان علي أن أتواعد معك أنا بنفسي!
وتمنت زوي لو أن في استطاعتها صفعه، الاّ أنها سارعت الى القول:
ـ لا أطمح أبداً الى تكبيدك مثل هذه المشقة...
ـ لا مشقة في ذلك.
وهنا كان مكادم أوقف السيارة أمام بيت زوي، فهمت بالنزول وهي تودعه قائلة:
ـ الى اللقاء يا مكادم... طابت ليلتك.
وقبل أن يلحق بها كانت توارت في الرواق المؤدي الى البيت. وكان جدها وجدتها نائمين، فشعرت بالارتياح. ودخلت غرفتها ونزعت عنها ثوب السهرة الطويل الذي اشترته ذلك النهار ولم تدع مكادم يدفع ثمنه. وسرها ذلك. ولكنها تذكرت بكثير من اللذة كيف كان مكادم يداعب ذلك الثوب بشغف وهو يراقصها. وطوته ووضعته في داخل خزانة الثياب وهي على يقين انها لن ترتديه مرة ثانية.
ومر اليوم التالي، يوم الأحد، ببطء على غير عادته. فبعد الغداء ذهبت الى الميناء، خلافاً لما عزمت أن تفعل، حيث غالباً ما كانت تجد مكادم، فيدعوها الى مرافقته في نزهة بحرية. ولكنه هذه المرة لم يكن هنا. وحاولت ان تبعد عنها الشعور بالخيبة، فقفلت راجعة من حيث اتت.
ثم أخذت تتجوّل في البلدة على غير هدى، وهي تشعر بالغم والوحدة. وكان الطقس بارداً ولكنه مشرق، وهو النوع الملائم كل الملائمة لنزهة في البحر. وكان لها اصدقاء اخرون، غير مكادم، تستطيع ان تبحر معهم، ولكنها في ذلك الحين لم تشعر بالرغبة في

مرافقة أحد سواه.

وحين وصلت الى المكتب، في صباح اليوم التالي، كان جرس التلفون يرن بدون انقطاع فتناولت السماعة واذا بصوت مكادم يصيح بها في الطرف الآخر قائلاً:

ـ أين كنت الى الآن؟

وكانت الساعة لم تتجاوز الثامنة، وهو وقت البدء بالعمل. ولم تشأ ان تذكره بذلك، بل آثرت ان تسارع الى القول:

ـ أين انت؟

ـ أنا في الفراش... وكيف لي أن أكون الآن في أي مكان آخر؟

ـ في الفراش؟ وهل أصبت بأذى؟

ـ اذى؟ أنا في حالة من الزكام يرثى لها!

ـ أنا آسفة... ومتى ستحضر الى المكتب؟

فأجابها مكادم بغضب:

ـ لا تكوني غبية الى هذا الحد. هل أكون في الفراش الآن لو كان في استطاعتي ان انهض؟

فقالت بلهفة:

ـ اصحيح هذا؟ هل تعني ما تقول؟

ـ نعم، نعم. تعالي في الحال... أنا في انتظارك... هيا!

ـ أليس من الأفضل انتظار مجيء البريد لأحمله اليك؟

ـ يمكنك أن تفعلي ذلك فيما بعد... افعلي الآن ما آمرك به!

وسيطر الذهول على زوي بعض الوقت وتساءلت:

ـ ماذا أصابه؟ وهو الذي قلّما شكا من الزكام أو لزم فراش المرض.

وسألها ايان، وكان بجانبها:

ـ الى من كنت تتحدثين؟

فاستدارت نحو طاولتها ولم تشأ ان تخبره بشيء، فقال:

ـ أين المدير؟ هل أصابه مكروه؟

ـ انه مريض. . . في الفراش. ولعله مشرف على الموت!
ـ من يكون مشرفاً على الموت لا يصيح مثل هذا الصياح عبر خط التلفون.
ـ هذا صحيح. ولكن صوته لا يبعث على الاطمئنان.
فقهقه ايان ضاحكاً وقال:
ـ ومهما يكن. . . دعينا نعمل ما يمكن عمله، ما دام السجان غائباً.
قال هذا وحملها بين ذراعيه وعانقها.
فصدته ودفعته عنها بغضب وهي تقول:
ـ قد لا يروق لك أن اذكرك دائماً بأن السيد مكادم يدفع لنا أجوراً مرتفعة. . . فلا يحق لك أن تعتاد على معانقتي هنا في أوقات العمل.
وسارعت الى جمع الاوراق التي تحتاج اليها في لقائها مع مكادم، ثم التفتت الى ايان وقالت له:
ـ اذا تلفن أحد فاخبره اني لن أطيل الغياب عن المكتب، هذا اذا كان الامر يتعدى صلاحياتك.
فقال لها ايان:
ـ اذن، انت ذاهبة اليه؟
ـ هكذا أمرني!
ولم تكن زوي دخلت بيت مكادم من قبل، ولكنها كانت تعرف عنوانه. وكان البيت لخاله، وهو يقع في التلال جنوبي البلدة. وكم أحبت زوي منظره على الرغم من قدمه ومرور الزمن عليه.
ودقت الباب مراراً قبل ان يفتحه مكادم. وحين نظرت اليه رأته مقطب الجبين، يلبس ثوباً منزلياً شبيهاً بثوب الحمام، فعلا الاحمرار وجهها وهو يقول لها:
ـ لو لم أكن غبياً، لصرفتك من الخدمة في الحال!
ـ ولماذا؟
ـ لأنك دققت الباب ووقفت تنتظرين من يسمح لك بالدخول.

الا تعلمين أني وحيد هنا، واني مريض في الفراش؟
- الحق معك. . . وأنا آسفة. ظننت ان احدى نسائك قد تكون هنا، وأنا لا أريد أن أحرجك!
فحملق فيها قائلا:
- عدنا الى السيرة ذاتها. . . أية نساء؟
فاجابته بلؤم:
- أعني المرأة التي تأتي يومياً لتدبير شؤون منزلك؟
- هناك امرأة واحدة فقط تأتي كل أسبوع، لا كل يوم، لتقوم بهذا العمل. ظننتك تعرفين ذلك!
- كيف لي أن أعرف وأنت لا تخبرني عن شيء!
- السكرتيرة الماهرة لا تحتاج الى من يخبرها عن شيء كهذا.
- نعم، وهي تعرف على الأقل شيئاً واحداً، وهو ان من كان مريضاً مثلك لا يقف طويلاً هنا عند عتبة الباب!
- انت على صواب هذه المرة.
ومال عنها وبدأ يصعد أمامها الى الطبقة العليا، منتظراً منها أن تتبعه.
وتبعته بعد أن أغلقت الباب وراءها وأخذت تتأمل عضلات ساقيه الطويلتين القويتين وكان يصعد الدرج درجتين درجتين كمن لا يشكو من أي داء.
ورأت زوي ان البيت واسع رحب، قديم الاثاث ولكنه مريح. ولحقت بمكادم الى غرفة النوم، حيث أخذت تجيل النظر فيها بشيء من الحيرة والاهتمام. وكانت الغرفة كسائر انحاء البيت واسعة ومهملة.
وسمعته يتكلم، وهو جالس على حافة السرير، كمن يهذي قائلاً:
- أنا بحاجة الى عناية، لا الى طبيب.
وحين رآها تشيح النظر عنه صاح بها:

ـ لماذا؟ لماذا لا تنظرين الي؟
ـ آسفة... لم أتعود أن أرى رجلاً نصف عار.
ـ اذن، تمتعي... فكم من النساء في هذه البلدة يتمنين لو كن مكانك!

فرمقته بنظرة غاضبة. ولم تشأ ان تدخل معه في جدال، فاكتفت بالقول:

ـ انت لم تستدعني الى هنا لتخبرني بذلك!

فاجابها معتذراً:

ـ أنا في حالة لا أحسد عليها. ولا يبدو عليك أنك تصدقيني.

٤- لا رفض في الحب

لم تكن زوي تصدق أن مكادم الذي اتصف بالكبرياء والاكتفاء الذاتي والصلابة، قد يشعر يوماً بالحزن وانكسار الروح. اما الآن، وقد أتيح لها ان تتعرف اليه عن كثب، فانه بدا لها عليلا. لم يحلق ذقنه منذ يوم السبت، وتحت الشعر الذي نما وطال على خديه تراءى لها وجهه كالحاً. وكان شعر رأسه غير مصفف وعيناه محمرتين، مثلما كانت تراه أحياناً بعد رحلة بحرية شاقة مضنية.

وقالت له:

- هل أنت مصاب بالزكام أم بما يشبهه؟

- ربما. كما أحس بتعب في ساقي وبوجع في سائر جسمي.

وتطلعت اليه بلهفة تحولت فجأة الى ارتعاشة وقالت:

ـ أتريدني ان أذهب الى البيت وآتي بجدتي؟ فهي خبيرة بهذه الأمور، هذا اذا كنت لا تريد ان تستشير الطبيب.

فأجابها بجفاف:

ـ لا، شكراً. فمع احترامي لجدتك، فجدك تاغرت سيجد ان من واجبه ان يرافقها، وهذا ما لا استطيع تحمله!

فقالت له زوي وقد سرها انه على الأقل قادر على المزاح:

ـ أرى انه من الخير، على كل حال، ان تذهب الى فراشك.

ـ نعم... من الأفضل ان أفعل ذلك.

وأشاحت بنظرها عنه وهو يخلع عنه رداءه المنزلي، وقال لها مكادم بفروغ صبر:

ـ بربك يا زوي، لا تخافي. فأنا لن أغتصبك، خصوصاً في الحال التي أنا فيها!

ثم أضاف قائلا بسخرية:

ـ يمكنك الآن ان تحولي نظرك الي!

وكان داخل فراشه ورفع الغطاء حتى كاد يستر وجهه. وبدا عليه التعب الشديد، فقال لها:

ـ ما رأيك بفنجان من الشاي؟ فهو قد يريحني. وربما بيضة مسلوقة ايضا وكسرة خبز محمصة وبعض المربى.

فقالت مازحة:

ـ كل هذا؟

ـ لا أعدك بأن لي القدرة على أن آكلها كلها.

ـ أين المطبخ؟

فدلها عليه، فاذا هو مكان أنيق ولكنه غير مرتب ولا نظيف. وفيما هي تنتظر الماء لتغلي قامت بترتيبه وتنظيفه بعض الشيء. وبدا لها ان مكادم بحاجة ماسة الى من يعتني بأمره، وأفضل من يفعل ذلك هي الزوجة. وفجأة شعرت بالذنب لعدم تشجيعه على الزواج من احدى اللواتي يعاشرهن بدل ان تعيّره بذلك. على ان فكرة زواج مكادم لم

ترق لها، ذلك لأنها تريده ان يبقى كما عرفته دائماً، وتخشى ان تغيّر الزوجة سلوكه وطباعه.

وبعد ان هيأت الطعام ووضعته على طبق نظيف، حملته اليه في غرفة نومه، فوجدت ان عينيه مغمضتان.

فقالت بصوت مرتفع:

ـ ها أنا عائدة. هل أنت نائم؟

ففتح عينيه وقال:

ـ كيف لي ان أنام مع الأصوات التي تثيرينها؟

فأجابته بنبرة قاسية:

ـ جئتك بطعام الفطور، واذا كنت لا تتصرف معي بلطف وتهذيب، فسأعود به الى المطبخ!

فنهض جالساً وصاح قائلا:

ـ لا. لا. ألهذا الطعام رائحة طيبة كرائحتك؟

فأجابت وهي تضع طبق الطعام أمامه على الفراش:

ـ لا تحاول امتداحي، فأنت بغنى عن ذلك.

وسكبت الشاي في فنجانه وهي تبذل جهدها ان لا تنظر الى صدره الواسع المليء بالشعر. كانت قد رأته بملابس السباحة في الميناء وفي البحر، ولكنها هنا، بين أربعة جدران، أحست نحوه بشعور غريب لم تحس به في تلك المناسبات.

وقال لها ساخراً وقد رأى يدها ترتجف:

ـ أفضل الشاي في الفنجان لا في الصحن!

فاستولى عليها الارتباك. وأضاف مكادم قائلا:

ـ وصلت بعد طول التفكير الى نتيجة، وهي اني بحاجة الى مديرة لمنزلي!

ـ تعني زوجة؟

ـ ربما. هل تعرفين واحدة تقوم بهذه المهمة!

وساءها تجاهله امرها، فقالت:

ـ أنت رجل من الصعب على امرأة ان تساكنك!

ـ ولكن قد يكون هناك بعض النساء المستعدات لذلك، مثلك أنت مثلا.

فسارعت الى القول:

ـ لا تكن سخيفاً، ارجوك!

ثم أضافت لتثير غيرته وتظهر كبرياءها:

ـ أفضل رجلا مثل ايان!

ـ غراهام؟ هل أنت جادة في ما تقولين؟

ولما لم تجب أضاف قائلا:

ـ هل هو يعانقك ايضا هذه الأيام؟

ـ اذا فعل، فانما يكون ذلك مداعبة ومزاحاً!

وهنا ظهر الغيظ عليه، فقال بصوت أجش:

ـ أعرف أي نوع من الرجال هو. ويزيدني معرفة بك تفضيلك اياه عليّ. . . ليتني أعرف رأي تاغرت في علاقتك معه وتبادل العناق واللقاءات بينكما ليلا عند شاطىء البحر. ربما يكون من واجبي ان أخبره بالأمر لأنعم بمشاهدة العقاب الذي سينزله بك!

فقالت وهي تكاد تشهق بالبكاء:

ـ كفى يا مكادم. لا صحة لكل هذا الذي تتخيله عني وعن ايان، فتسيء الى نفسك لا أكثر ولا أقل.

ـ نعم، وأنت تجعلين حالتي أسوأ.

ـ تأكد انني لا أضيع عليك وقتك في المكتب. ولا يمكن ان أفعل ذلك. وقلت لايان اليوم قبل ان أغادر المكتب انك تدفع لنا مرتباً شهرياً جيداً.

ـ وهل هو بحاجة الى تذكيره بهذه الحقيقة؟

فتطلعت اليه زوي واحمرار الغضب يصعد الى وجهها، وخطر لها ان مكادم لا يخفى عليه شيء حتى ولو كان مريضاً.

وفيما هي تبحث عما تجيبه، دون ان يكون له علاقة بايان، دفع

مكادم طبق الطعام نحوها قائلا:

ـ خذيه . . . فقدت شهيتي، والأفضل ان تذهبي من هنا قبل ان ترتفع حرارتي. وضعت قائمة بما أريد ان تفعلوه في المكتب، فأعطيها لدونالد أو سواه من المسؤولين. وحين يأتي البريد، اجلبيه الي في الحال.

وسر زوي ان تذهب، على الرغم من شعورها بالذنب لأنها لم تعمل ما فيه الكفاية. وأملت ان يكون مكادم في مزاج رائق حين تعود اليه فيما بعد. فتلميحاته عنها وعن ايان ازعجتها ولكنها عزمت ان لا تأخذها بجد. فهو لم يكن يتفوه بما تفوه به لو لم يكن مريضاً. ولعله كان يهذي من النعاس والعياء. والدليل على ذلك اتهامه تاغرت بأنه يشك في براءة علاقته معها. وكيف يكون ذلك وتاغرت يعلم ان مكادم يدافع عنها ويصونها اكثر منه. واذا كان عانقها مرة، فهذا لا يعني شيئاً، وقد يكون لجعلها تدرك انها أصبحت امرأة ناضجة.

وحين عادت اليه قبل ظهر ذلك النهار، كان حلق ذقنه وعاد الى الفراش وهو يرتدي، كما تخيلت زوي، بيجاما حريرية، وكان البيت دافئاً، لعله شغل مكيف الهواء. وحين سألها مبتسماً هل تروق لها درجة الحرارة، اجابته قائلة:

ـ كان عليك ان تطلب مني ان أشغل مكيف الهواء عندما كنت هنا، فلا أقلق عليك طول الوقت وأنا في المكتب من دون ان تكون في جو بارد. فأنا لم ألاحظ وجود المكيف والا كنت عمدت الى اشغاله.

وأحس مكادم ببعض الارتياح وهو يتأملها بنظراته. وسره ان تكون انطوت صفحة المشاحنة التي جرت بينهما قبل ساعات.

وقالت زوي:

ـ جئت بالألة الكاتبة وبالمراسلات التي تحتاج الى ردود عاجلة. وسأذهب الى المطبخ لأفرزها وأعيد النظر في شأنها.

فقال لها:

ـ اذهبي إلى غرفة مكتبي هنا، فهي أفضل لك من المطبخ.
فأجابت قائلة:

ـ جئت ببعض الطعام للشورباء. . . والواقع اني وضعتها على النار حال وصولي. ومن الأفضل ان اشتغل في المطبخ. ليتسنى لي مراقبتها عن كثب. وسيكون طعام الغداء جاهزاً في الواحدة، وكذلك الردود على المراسلات لتوقيعها بامضائك.

ودهشت لأن مكادم لم يبد أية معارضة، اذ بدا عليه العياء. فما كان منها الا ان سارعت الى الفراش ترتبه.

وفيما هي منحنية وقعت جدائل شعرها الكث على وجهها، فأزاحته بفارغ صبر.

وترامى اليها صدى ضحكته وهو يقول لها:

ـ انت بحاجة الى شريطة لشعرك. . . ولكن رائحته طيبة!

فعادت بها هذه الملاحظة الى تذكر عناقه لها في السيارة وكيف علا الاحمرار وجهها. وتطلع مكادم بنظراته اليها قائلا:

ـ ألا استحق منك عناقاً؟

فرفعت رأسها وهي تتنهد بعمق وأجابت قائلة:

ـ اما انك تمزح أو انك تهذي تحت تأثير الحمى.

ـ لم أكن أهذي ليلة السبت الفائت!

ـ اذن، لم يكن لديك عذر في ما فعلته آنذاك.

فرد عليها متهكماً:

ـ لا أتذكر اني استخدمت العنف، ولا أتذكر ايضا انك قاومتني!

ثم ابتسم وهو يمسك بذراعها ويجذبها اليه:

ـ ربما كان علينا ان نعيد التجربة لنرى. . .

فحملقت في وجهه قائلة:

ـ كفاك. . .

وبدا الذعر في عينيها الخضراوين وأخذ قلبها يخفق خفقاناً سريعاً وتساءلت ماذا تفعل اذا خطر له ان يشدها اليه ليعانقها؟ فلم يسبق

ان اختلت مع رجل واذ نظرت الآن الى جسم مكادم الفارع الصلب، اجتاحها شعور لا قدرة للعقل بالسيطرة عليه.
وأفلت مكادم ذراعها بغتة وقال:
ـ ما هذا؟ أنت بارعة في الاستسلام الى غراهام لا لي... ويشهد الله اني لم أكن أريد ان اعانقك مرة ثانية... ولكن لا بأس، فهذه التجربة كانت مفيدة لي!
وأعادت هذه الكلمات وعيها الكامل اليها فقالت:
ـ كنت أحاول ترتيب فراشك، لا أكثر ولا أقل!
ـ شكراً! ولن انسى ان أدفع لك أجرتك!
فاغتاظت من كلامه، ولكنها تمالكت اعصابها واكتفت بالقول:
ـ اني أكرهك أحياناً يا مكادم.
ثم سارعت في الخروج من الغرفة. وحين انتهت من طباعة الردود على المراسلات، وضعتها على طبق بجانب صحن الشورباء وبعض كسر الخبز المحمص. وبعد ذلك غلت القهوة وأبقتها ساخنة الى ما بعد، ثم جالت بنظرها في انحاء المطبخ وشعرت بالرغبة في تناول طعام الغداء هناك بسلام، لا مع مكادم على فراشه. ولكنها خشيت، ان هي فعلت ذلك، ان تعكر مزاجه وتثير نقمته.
وتلذذ مكادم بالشورباء ولم يأكل من الخبز غير كسرة واحدة، ولكنه شرب فنجانين من القهوة. وبدا لزوي ان حاله تحسنت قليلا. وبعد ان وقّع بامضائه على المراسلات حدق الى زوي بجفون يغالبها النعاس فرأت ان من الأفضل ان تتركه وحده ليستسلم الى النوم. وقال لها:
ـ عليك ان تعودي الي عند العصر، فقد يكون لدي عمل أوكل به اليك.
فهزت رأسها علامة القبول، واما هو فأضاف قائلا:
ـ لا تنسي ان تتلفني لبانتلاندس وتستخبري عن الطلب الذي أرسلناه. وقولي لايان ان يذهب الى دالمالي ويتحدث الى المايجور

كامبل عن يخته الذي اهمله طويلا حتى صار من الصعب اصلاحه...

فسألته قائلة:

- هل بامكانه ان يتلفن للمايجور بدل ان يذهب اليه؟ فالطريق الى دالمالي طويلة...

- السفر الى هناك يقينا شره بعض الوقت! واذا تذمّر من القيام بهذه المهمة، خففي عنه باخباره انني أريد منه ان يذهب الى المكسيك يوم الخميس عوضاً عني. فلن أكون في حالة صحية تمكنني الذهاب بنفسي الى هناك.

فقالت بدهشة:

- وكيف لا تكون في حال صحية جيدة؟

- لا تنظري الي هكذا. قد لا أكون يومئذ على حافة قبري، ولكني متأكد انني لن أكون على ما يرام!

وسرها ان يعترف لأول مرة بأنه مغلوب على أمره، فلا يكابر على الداء ولا يعتد بنفسه. فمن قبل كان يهزأ بأقل علامة تشير الى وجود ضعف فيه، فيتصدى للقيام بعمل ما مهما صعب، بالرغم من شورتها وشورة اي كان.

وقالت له:

- المهمة التي توكلها الى ايان مهمة خطيرة، فهل تظن ان باستطاعته القيام بها؟

فأجاب ببرودة:

- لماذا لا؟ اما له لسان يتكلم؟ وعندما أوفدناه الى فرنسا في السنة الماضية لم يكن لدينا شكوى من الطريقة التي أدى بها المهمة الموكولة اليه...

- صحيح، ولكن أصر على القول بأنه من الحكمة الانتظار الى ان تشفى، فتذهب الى المكسيك بنفسك. فالمكسيك غير فرنسا..

فقاطعها بقوله:

ـ لا تقلقي عليه، فلن يحدث له اي مكروه، وهو لن يتغيب اكثر من اسبوع!

وحين أخبرت ايان بأمر السفر الى المكسيك طار فرحاً وقال:

ـ لم أكن أظن انه يوكل الي مثل هذه المهمة. . . هل انت واثقة من انه كان مالكاً قواه العقلية حين أخبرك بذلك؟

فأجابت قائلة:

ـ يبدو انه يؤمن بكفاءتك. . . فعليك ان تكون أهلا لذلك، وان لا تفعل شيئاً من اليوم الى الخميس القادم يجعله يغير رأيه فيك.

ولم يفعل ايان شيئاً من هذا القبيل، بل انصرف الى عمله بجد ونشاط وترك زوي وشأنها، فلم يقم بأي محاولة لمعانقتها، وان كان دعاها الى تناول طعام العشاء معه بعد عودته من المكسيك، هذا اذا كانت رحلته ناجحة.

فقالت له زوي ضاحكة:

ـ اذا كانت رحلتك ناجحة، فلا أرى مانعاً من الاحتفال بهذا النجاح.

وفي يوم الخميس سافر ايان وعاد مكادم الى عمله في المكتب كالمعتاد. وهكذا انقضى الاسبوع ببطء، لأنها افتقدت وجود ايان الذي كان يضفي على المكان جواً من المرح، خصوصاً في غياب مكادم عن المكتب. ويبدا ان مكادم استعاد عافيته بسرعة، على الرغم من الاصفرار على وجهه والانقباض في حركاته.

وقالت له زوي:

ـ ألا يكون من الحكمة ان تنصرف في المساء باكراً الى ان تستعيد كامل صحتك؟

وأبدت هذه الملاحظة، وهي تلبس معطفها لمغادرة المكتب بعد انتهاء وقت الدوام في السادسة مساء. وكان مكادم لا يزال منكباً على عمله، كأنما كان في نيته ان يستمر ساعات اخرى.

فقال لها بنبرة لم تخل من الانزعاج:

ـ زوي. . . اخرجي من هنا. . . ارجوك!
فتمالكت اعصابها وقالت له:
ـ كنت عازمة على دعوتك الى بيتي لقضاء السهرة. . . جدتي ستشوي قطعاً من اللحم على طريقتها اللذيذة الخاصة. . . أنا أعلم ان مثل هذا الطعام لا يلائمك بعد مرضك، ولكني واثقة ان اللحم الذي تشويه جدتي طري وخفيف على المعدة!
وشعرت بضيق النفس قبل ان تنهي كلامها، غير انها اضافت:
ـ اما ان تقبل دعوتي واما ان تعود وحدك الى بيتك الخالي وتبقى بدون عشاء!
ـ وهنالك بديل آخر، وهو ان اتلفن للآنسة فينتس وأدعوها الى العشاء في احد الفنادق الفخمة!
فعلا الاصفرار وجه زوي، فمالت عنه والدموع تترقرق في عينيها، وقالت:
ـ أعتذر لسخافة دعوتي لك. . . طابت ليلتك.
وقبل ان تخطو بضع خطوات لحق بها وألقى يده على كتفيها قائلا:
ـ أنا الذي يجب ان يعتذر يا زوي. . . يسرني جداً ان أقبل دعوتك. . . لا أعلم ماذا يصيبني احياناً. . . ربما لأني تعب ومستوحد!
وفركت زوي عينيها وهي تلقي رأسها على صدره العريض، ثم لم تلبث ان تراجعت عنه مخافة ان يحس بخفوق قلبها الشديد.
فسارع الى القول:
ـ زوي. . .
ثم صمت وعاد الى مكتبه يرتبه استعداداً لمغادرة المكتب. وقال لها:
ـ اذهبي وانتظريني في السيارة ريثما ألحق بك.
ولم يكن بيت جدتها فخماً، وهو ارث من والد زوجها تاغرت. احبته ووجدت فيه الراحة.

وحين وصلت اليه برفقة مكادم، كان تاغرت في غرفة الجلوس يقرأ، فيما زوجته جانيت منشغلة في المطبخ. فحين رفعت عينيها ورأت زوي برفقة مكادم شع الفرح في وجهها وصاحت مرحبة:

- أهلا بك يا مكادم.

فقال لها مبتسماً:

- أصرّت زوي على دعوتي لتناول طعام العشاء هنا... وآمل ألا أكون مصدر ازعاج لك!

فضحكت جانيت قائلة:

- وكيف يكون ذلك؟

ثم أضافت بلهجة اكثر رصانة:

- زوي أخبرتنا هذا الصباح بأنك كنت متوعك الصحة... وأرجو ان تكون الآن بخير... هيا، تاغرت في غرفة الجلوس وهو يسر بلقائك والتحدث اليك ريثما ننتهي، أنا وزوي، من تهيئة طعام العشاء.

وبعد حوالى نصف ساعة كان الجميع حول مائدة العشاء. ولم يقع جدال هذه المرة بين تاغرت ومكادم، على غير عادتهما. وكان تاغرت كثير المطالعة في أي موضوع، ولما كان مكادم واسع الاطلاع على الشؤون الأدبية، فانهما غرقا في البحث والنقاش، فيما استسلمت زوي الى ذلك الجو العائلي الحميم وهي تشعر بالراحة والهناء.

ولم ينقض وقت طويل حتى كان الجميع حول الموقد يحتسون الشاي بهدوء. غير ان هذا الهدوء لم يدم، اذ سألت جانيت مكادم ببراءة كيف قضى أيام مرضه وهل كان هنالك من يعتني به.

فأجابها مبتسماً:

- كانت زوي ملاكي الحارس، وهي التي كانت تعتني بي.

فظهر العبوس على وجه تاغرت وقال قبل ان تستطيع زوي ان تمنعه من الكلام:

- وهل كانت تختلي بك في بيتك؟

فنظر اليه مكادم قائلا:
- كنت مريضاً. . . حتى لو لم أكن مريضاً، فما الضرر من ذلك؟
فطار صواب تاغرت وكاد ينهال عليه بالكلام، ولكن مكادم نهض واقفاً على قدميه قائلا لزوي:
- سأراك غداً صباحاً يا زوي.
ثم شكر جانيت وتاغرت على حسن ضيافتهما. وقالت له زوي مبتسمة:
- سأودعك عند الباب.
وقال لها وهما في طريقهما:
- ما هذا؟ أراك على استعداد هذه المرة للتصدي له من أجلي.
- لا من أجلك ولا من أجلي. . . وأنت تعرف ذلك. . . وعلى أية حال، أرجو ان تكون، على الأقل، تلذذت بعشائك.
فأجابها بسخرية رافعاً حاجبيه الأسودين:
- نعم، وكيف لا، والواقع اني تلذذت به الى حد يجعلني أبرر مخاوف تاغرت وشكوكه في علاقتنا، فانهي هذه السهرة كما يجب عادة ان تنتهي. . .
وقبل ان تتأهب للدفاع عن نفسها، كان مكادم قد طوقها بذراعيه وأخذ يعانقها بعنف ثم أفلتها وهو يتمتم كلاماً غير مفهوم.
وفيما هي تحدق اليه غير مصدقة ما جرى لها، بادرها بالقول متهكماً:
- طابت ليلتك يا زوي، وشكراً.
وفي الخميس التالي عاد ايان من رحلته الى المكسيك وجعبته مليئة بالطلبات التي حصل عليها من جميع الذين التقاهم، ما عدا رجلا واحداً أصر على مقابلة مكادم نفسه، قبل ان يقدم طلبه الى الشركة.
وسر مكادم من نتائج رحلة ايان، فسمح له بالذهاب في عطلة نهاية الاسبوع الى زيارة عائلته. وشكره ايان على ذلك وأجابه بأنه سيسافر غداً صباحاً. وفي تلك الليلة خرج برفقة زوي الى تناول

طعام العشاء كما تم الاتفاق بينهما.

ولم تكن زوي، في الحقيقة، راغبة في مرافقته. ولكنها عزمت فجأة على اقناع نفسها بأن هنالك رجلا في العالم غير مكادم. ورأت ان على مكادم ان يدرك هذا الأمر. فمنذ تناول طعام العشاء في بيت جدها أخذ يتجاهلها ويعرض عنها. وكلما تذكرت كيف عانقها عند الباب وهو يودعها، أحست بالمهانة ولم تجد سبيلا للانتقام سوى اقناعه بأنها لا تقيم وزناً لمعانقته لها تلك الليلة.

وسافر ايان في صباح اليوم التالي، ولم يبد مكادم أية ملاحظة عندما أخبرته زوي بالسهرة التي قضتها برفقة ايان وأخذت تصفها بحماسة شديدة. ولكن بعد ان خفت حماستها أشار ببرودة الى انه كان من الأليق ان يحتفل ايان بنجاح رحلته الى المكسيك بدعوة بعض زملائه في المكتب ايضا.

وكان هذا الكلام كافياً لتأنيب زوي، بحيث وجدت ان من الصعب عليها الانصراف بكليتها الى العمل بقية النهار. وسرها ان يكون ذلك اليوم يوم جمعة، وستليه عطلة نهاية الاسبوع.

وقبل ان تغادر المكتب في آخر النهار، سألت مكادم اذا كان سيذهب في نزهة بحرية يوم الأحد. فأجابها انه سيذهب ولكن وحده.

ـ ولماذا وحدك؟

ـ لأني هكذا أريد.

فكبحت جماح كبريائها وقالت:

ـ لي رغبة في مرافقتك كالعادة.

ـ لن آخذك معي هذه المرة.

فاتسعت حدقتا عينيها الخضراوين وهي تجيب:

ـ لعلك وعدت امرأة أخرى!

ـ كلا، لم أفعل. وقبل ان أقوم بما أندم عليه فيما بعد، فأنا الآن آمرك بأن تغربي عن وجهي.

وحين استولى عليها الاضطراب أضاف قائلاً:
ـ وعلى كل حال، فالطقس ينذر بالعواصف.
ـ ولذلك ستحتاج الى معونتي.
فانتهرها بشدة. وفكرت وهي تفارقه ان هذه هي المرة الأولى التي يرفض فيها اصطحابها معه من دون عذر. فهل تراه عزم نهائياً على اخراجها من حياته؟
ويوم السبت قضت وقتها في مساعدة جدتها في تدبير شؤون البيت، وفي شراء الحاجيات والاستماع الى ثرثرة جدها تاغرت بعض الشيء. واكتشفت انها لن تستطيع الا التفكير في مكادم، أحياناً بغضب وأحياناً أخرى بخيبة أمل ويأس. فرفضه اياها أوجعها اكثر مما كانت على استعداد للاعتراف ولكن ماذا كان في وسعها ان تفعل؟
وحاولت ان تهرب من مثل هذه الأفكار، فذهبت في نزهة عند شاطىء البحر، ثم التقت لدى عودتها فردي فينتس. وفيما كانت تتحدث اليه مر بها مكادم من دون ان يتوقف، بل اكتفى بالنظر اليهما ورفع يده بالتحية.
وقال لها فردي:
ـ ما به؟ يبدو انه يميل الى الاعتزال. . . ولدي ما يجب ان أقوله له.
وهبت كالعادة للدفاع عن مكادم فأجابت قائلة:
ـ كان مريضاً.
وأراد فردي قبول هذا العذر ودعاها الى تناول فنجان من الشاي معه. وأخبرها انه كان في لندن ولذلك لم يتلفن لها في الأيام الأخيرة. وعلمت منه انه شريك في احدى المؤسسات التجارية التي بدأت تعاني المتاعب.
وقبلت زوي ان تتناول معه فنجاناً من الشاي، ولكنها اعتذرت عن قبول دعوته للقيام في اليوم التالي بنزهة في سيارته.

ويوم الاحد بعد الغداء، ذهبت الى الميناء على أمل ان تجد مكادم هناك وتقنعه بأن يصطحبها معه في نزهته البحرية. وتساءلت كيف سيستقبلها اذا وجدته، غير انها احست فجأة بأنها لم تعد تبالي بخصوص النزهة البحرية، فسواء عندها أجابها بنعم أم بلا.

وما ان وصلت الى الميناء حتى وجدته قد هيأ الزورق للابحار. ورأت باب المكتب مفتوحاً، فقدرت انه لا يزال يلملم بعض الحوائج. فأسرعت الخطى وصعدت الى المكتب فوجدته هناك كما توقعت.

فنظر اليها من وراء طاولته وصاح بها:

ـ لا يا زوي... لن أغير رايي... اخرجي من هنا في الحال!

وخرجت زوي مسرعة، لا لتذهب وتترك مكادم وشأنه، بل لتتجه نحو زورقه المتأهب للابحار.

٥ـ عاصفتان في قلبها

وحشرت زوي نفسها حشراً في احدى زوايا الزورق الصغير واختبأت هناك. وأملت ألا يراها مكادم الاّ بعد أن يقلع من الميناء. وعندئذ لا يمكن له غير القبول والرضوخ، فيتسنى لها أن ترافقه في نزهته.

وبعد حين سمعته يستقل الزورق ويدير محركه. وشعرت كأنه ينوي الابحار على جناح السرعة. وبدا لها أن الطقس لن يبقى صافياً، وان كان لا يزال دافئاً على غير عادته في ذلك الوقت من السنة. غير أنها كانت تثق بمهارة مكادم وقدرته على مجابهة الصعوبات مهما اشتدت. وبفضل هذه الثقة استسلمت الى الراحة، ثم سرعان ما غلبها النعاس.

وكانت تنوي، في الأساس، أن تبقى حيث هي، اذا لم يكتشف مكادم وجودها خلال ساعة أو ساعتين. وبذلك يصعب عليه العودة بها الى الشاطىء، بل حتى لو عاد بها فانها تكون قضت جانباً من النزهة. على أنها نامت أكثر مما توقعت، ولم تستفق الاّ حين شعرت بحدوث خطر مفاجىء.

وكان الزورق يعلو ويهبط بشدة، مما جعلها تعتقد أنه في وسط العاصفة. وسرعان ما سمعت صوت الرعد ورأت سهام البرق تخترق نوافذ الغرفة التي اختبأت فيها.

ولكن أين مكادم؟ وفجأة، بدأت ترتجف وترتعش من الخوف، لا على نفسها بل عليه. وكانت تعرف أن هبوب العاصفة على حين غرة قد يعرض أمهر البحارة الى الخطر المداهم. ومع أن ما يحدث الآن قد جابهته مع مكادم مراراً من قبل، الاّ ان ذلك لا يعني ان التغلب على الخطر سيحالفها هذه المرة أيضاً. وكان أكثر ما أفزعها وأثار مخاوفها ذلك الصمت القاتل الذي كان يلف الزورق، فهل يا ترى أصيب مكادم بمكروه؟ وفي تلك اللحظة، أمام شعورها العميق بالقلق عليه، اكتشفت أنها واقعة في غرامه.

على ان هذا الاكتشاف يحتاج الى وقت لاستيعابه. ولكن الظروف أجبرت زوي على تجاوز عامل الوقت والتصرف بما يمليه عليها ذلك الغرام. فحياة مكادم قد تتوقف على مثل هذا التصرف.

وتأكد لها انه لا بد ان يكون في غرفة القيادة، فخرجت من مخبأها بحذر، لئلا تجتاحها العاصفة وترمي بها في البحر. وفيما هي تندفع في وجه الرياح العاتية، اذا بها تعثر على مكادم ملقى على ظهر الزورق من دون حراك. وفي الحال أدركت ان السارية وقعت على جانب رأسه فأغمي عليه. وحاولت عبثاً الوصول اليه، فوقفت تحدق اليه بخوف شديد من ان تحمله العاصفة وتلقي به في خضم الامواج.

وفجأة قذفته العاصفة باتجاهها، بحيث أصبح في وسعها الامساك به. وتعجبت كيف ان الزورق لم ينقلب رأساً على عقب، على الرغم

من فقدان توازنه.

وبدأت، وهي غارقة في الماء الى خاصرتيها، تشد مكادم الى غرفة القيادة، يساعدها على ذلك تمايل السفينة مع الامواج.

وما أن أوصلت مكادم داخل الغرفة حتى تنفست الصعداء وأخذت تربطه بعمود المقود. فعلت ذلك بعفو الخاطر وتبعت الارشادات التي كانت تلقنتها منه. وأحست برغبة جامحة في تطويقه بذراعيها وحمايته من الامواج، الآ أنها تمالكت نفسها واستخدمت عقلها لا عاطفتها.

وبعدما أيقنت أنه في مكان مريح، أخذت تنعم النظر في الجرح الذي أصيب به رأسه. وبدا لها أنه بسيط وسيستعيد وعيه في وقت قصير. ورأت أنه عليها الآن ان تقوم بكل ما في طاقتها لابقاء الزورق عائماً على وجه الماء.

وحاولت ادارة المحرك فلم تستطع، فعزت السبب الى وجود خطأ ما. ولم تكن متأكدة من مكان وجودهما الآ على وجه التقريب. ولاحت منها التفاتة فرأت الجزر الممتدة على طول الساحل والتي لا تزيد مساحة بعضها عن موطىء قدم. وكانت هذه الجزر خلابة المنظر، خصوصاً للسواح الذين كانوا يتأملونها وهم في البر، غير أنها كزورق وحيد تائه في البحر لم تكن الآ مصدر خطر مداهم.

حاولت مرة ثانية ان تدير المحرك، ولكن عبثاً. وتنهدت ووضعت المفتاح في جيبها اتقاء للمحاذير. وحارت ماذا تفعل، فاكتفت بالانتظار فيما الزورق يعلو ويهبط مع الامواج.

وعاد مكادم الى وعيه، ولكن بعد أن أصبحت الجزيرة على مرمى النظر. وشعرت زوي بوجود الجزيرة على مسافة قريبة، وذلك من ازدياد حركة المد والجزر بفعل الريح التي كانت تنطلق من الساحل. ومع أنها كانت تعرف ماذا تعمل وكيف تجابه الوضع المستجد، الآ أنها أحست بالرعب يتصاعد في داخلها حتى كاد يخنقها. وازدادت رعباً حين لمحت ان الجزيرة تغص بالصخور ولكن لا شاطىء

لها يرى. وحتى لو كان لها شاطىء، فالسفينة التي تدخل اليه في تلك الأحوال قد تنقلب بسهولة، وعندئذ كيف لها ان تخرج مكادم منها؟ واجتاحها الخوف وتساءلت ماذا لو مات مكادم؟ ألا تموت هي أيضاً، لأن الحياة بدونه لا تستحق ان تعاش. وفجأة فتح مكادم عينيه، فانعقد لسانها من الفرح. وسالت دموعها حتى انها لم تعد تستطيع ان تبصر. وحدقت اليه وهي تصرخ قائلة:

- مكادم... مكادم... أوه، شكراً لك يا الله!

وتمتم مكادم قائلا وهو يحاول النهوض على قدميه:

- زوي... أين نحن؟

- وقعت لك حادثة فغبت عن الوعي... المحرك لا يعمل، ونحن على مقربة من الشاطىء.

وفي الحال أدرك مكادم ما جرى له، فلم يوجه الى زوي أية أسئلة، بل نظر الى البحر حوله وأخذ يصدر اليها الأوامر. وبعد لحظات كانا يلبسان حزام النجاة وقد اتخذا كل وسائل الحيطة لمجابهة الخطر. وحين غرز الزورق في الحصى والاعشاب وانحسر الماء قليلاً، لم يكن بينه وبين اليابسة الآ أمتار معدودة.

ولم ينكسر الزورق تماماً كما خشيت زوي، ولكن الخطر ظل جاثماً. ولم تستطع زوي ان تتذكر فيما بعد تفاصيل ما جرى بعد ذلك، اذ كانت تتصرف بغريزتها لا بكامل وعيها.

وكان من المبادىء التي رددها مكادم دائماً أن المراكب يجب أن لا تترك ما دامت قطعة واحدة، فتساءلت زوي اذا كان مكادم ينوي البقاء في الزورق. وسرعان ما أدركت أنه لن يفعل هذه المرة حين رأته، على الرغم من الألم في رأسه، يحاول الخروج بها من دائرة الخطر. ولم يكن ذلك بالأمر السهل، الآ أن مكادم تمكن وهو ممسك بها أن يقطع المسافة القصيرة التي تفصلها عن اليابسة. وخيل الى زوي أن ذلك كان بمثابة أعجوبة لم يكن في وسعها اجتيازها لولاه.

وعلى اليابسة أخذ مكادم يساعدها على تقيؤ الماء الذي ابتلعته،

فقالت له وهي على وشك ان تفقد وعيها:
- ريس. . .
فقاطعها مبتسماً:
- أراك تدعينني ريس هذه المرة. . . كنت أظن أنك لن تفعلي ذلك، ولكن يبدو أن الفضل يعود الى العاصفة التي كادت تودي بحياتنا!
وأخذت تحدّق اليه وبودها لو تخبره ان العاصفة أيضاً جعلتها تكتشف كم تحبه. ومالت بنظرها عنه مخافة ان يقرأ ذلك في عينيها وقالت:
- أصبت بضربة على رأسي. . . مثلك.
فمد يده ولمس وجهها بحنان قائلا:
- وهل أنت الآن بخير؟
- نعم، وأنت؟ آه، كم شعرت بالرعب حين خيل الي أنني سأفقدك! والآن أخبرني ماذا جرى لك؟
- لا أدري تماماً، ولعل صاعقة نزلت بالزورق لشدة الرعد والبرق. وكل ما أتذكره هو أني وقعت على ظهر الزورق. . . ولو لم تنقذيني لكنت اليوم في عالم الأموات.
- وأنت أيضاً انقذتني، لأنه لم يكن في وسعي أن أصل الى البر بمفردي.
وكانت الريح لا تزال تعصف، فتجهم وجه مكادم لأنه أدرك انهما لم يتجاوزا مرحلة الخطر.
وسألته زوي:
- هل تعلم أين نحن؟
- لا أعلم على وجه اليقين، ولكني أظن أننا في جزيرة غير آهلة يملكها كاتب ويريد بيعها. وهو لا يعيش فيها الآن. فاذا كان ظني في محله، فلا بد من وجود بيت فيها نأوي اليه.
ونهض واقفاً على قدميه ورفعها بلطف الى جانبه وطوقها بذراعيه

محاولاً ما أمكن حمايتها من المطر المنهمر.
وقال لها متمتماً:
- زوي . . .
واحنى رأسه وأخذ يلامس خدها بخده. وحين شعرت بلهاثه على وجهها ارتعشت بفعل النشوة، فظن أنها لا تريد أن تستجيب له.
فقال لها وهو يبتعد عنها:
- معذرة. . . فعلت ذلك تحت تأثير الضربة على رأسي! والآن، لنصعد الى أعالي الجرف لنرى اذا كانت هذه هي الجزيرة التي ذكرتها.
فسألته قائلة:
- وماذا نفعل بالزورق؟
- أمامنا ما هو أهم من ذلك. . . فنحن مبللون حتى العظم، وعلينا أن نجد ملجأ. . .
وسارا صعداً وهو يساعدها على السير فوق الصخور الناتئة. وسمعا صوت تغريد أحد طيور البحر المحلق فوق رأسيهما. ولم تتمالك زوي من التفكير في الزورق، لأنها كانت تعلم كم كان مكادم متعلقاً به، فسألته قائلة:
- هل يمكن اصلاح الزورق يا ترى؟
فاجابها بفروغ صبر:
- تمكنت من القاء المرساة في البحر، وهذا قد يوقفه في مكانه، شرط أن لا تزداد العاصفة شدّة. . . ولكن أما قلت لك ان ذلك ليس أهم شيء يواجهنا الآن؟ علينا أن نحاول العثور على البيت الذي كان يسكنه ذلك الكاتب. . .
- وهل أنت واثق أنك تقوى على السير الى مسافة بعيدة؟
- ما بالك قلقة عليّ الى هذا الحد؟ أنا بخير، ولو كان رأسي يؤلمني بعض الشيء. وسأكون على ما يرام حين الجأ الى أي مأوى كان.
ولم يكن الصعود صعباً كما تصوراه وهما على الشاطىء. واتضح

لهما ان الممر كان مطروقاً من قبل، ثم تأكدا من ذلك حين لاح لناظريهما كوخ في البعيد، على مسافة لا تزيد عن نصف ميل.

فصاحت زوي والدموع في عينيها:

ـ أنظر كم هو رائع وجميل!

واجتاحها شعور غريب، واختلط فيه حبها لريس وتأكدها من سلامته. وخيّل اليها أنها لن تستطيع ان تنسى اللحظة الرهيبة وهما على الزورق، حين كانت تنظر اليه وهو يزحل بعيداً عن متناول يدها. أما الآن، فعليها ان تنسى كل ذلك وتحصر تفكيرها في الكوخ الذي سيقيهما شرّ العواصف.

وسارعا في سيرهما نحو الكوخ. وحين بلغاه وجدا الباب مغلقاً ولكنه غير مقفل، وكان داخله نظيفاً رغم الهجر والاهمال، ويتألف من غرفة واحدة فيها سرير واحد حشر في احدى الزوايا. وكان قبالة الموقدة طاولة ضخمة، وعلى الجدران رفوف تغص بالكتب التي علاها الغبار.

وقالت زوي:

ـ هل كان الكاتب يعيش هنا؟

ـ خمس سنوات، على ما أظن. كان يدرس طبائع الطيور وعجول البحر، ثم قرر أن ما درسه كان كافياً.

ـ كان رجلاً مهذباً على ما يبدو من كل هذا الحطب اليابس الذي تركه!

فرمقها ريس بنظرة عاجلة وأجاب قائلاً:

ـ لم أكن أنتقده. فأنا شاكر له وجود هذا الكوخ هنا. أما الحطب، فالذين يقطنون الجزر اعتادوا تجميعه عن الشواطىء بعد ان يكون قذفه الموج وأيبسته الشمس...

وشعرت زوي بالقشعريرة التي سببها البرد ونبرة صوته معاً. وسألت قائلة:

ـ هل معنا عود ثقاب؟

فأجابها ريس وهو يخلع عنه سترته المبللة:
ـ معي علبة ثقاب في هذه السترة لا يلحقها البلل.
وفيما أخذ اللهيب يتصاعد من الموقد، التفت اليها قائلا بحزم:
ـ اخلعي ثيابك المبللة قبل ان يصيبك الزكام الحاد!
فاحمر وجهها وهي تسأله قائلة:
ـ وماذا نلبس ريثما تجف ثيابنا المبللة؟
ـ سنرى ماذا نجد في هذه الخزانة.
وحين فتح الخزانة وجد انها مليئة بكل انواع الثياب، فتناول قميصاً ورماه اليها قائلاً:
ـ اليك بهذا القميص... وهو واسع فضفاض يستر جسمك كله. وهنا سروال لي، ولا أرى قميصاً آخر ألبسه ريثما يجف قميصي المبلل.
وفيما هو يخرج رأسه من الخزانة ازداد وجه زوي احمراراً وهي تقول:
ـ لا يوجد في هذا الكوخ الاّ غرفة واحدة!
فأجابها بسخرية:
ـ يؤسفني الاّ أتمكن من معالجة هذا الأمر... ولكن في وسع واحدنا ان يدير ظهره للآخر...
فقالت بارتباك:
ـ لا بأس. كان علي أن لا أبدي هذه الملاحظة بعد ما جرى لنا كل هذا الذي جرى!
فوافقها على كلامها، وحين رآها تخلع ثيابها المبللة بصعوبة هب الى مساعدتها فناولها قميصها قائلاً:
ـ بامكانك الآن أن تكملي بدون مساعدتي!
وحاولت عبثاً ان تعرف بماذا يفكر. وارتدت القميص بسرعة وهي تقول:
ـ يبدو من هذا القميص أن صاحبنا الكاتب رجل ضخم!

ونظر ريس الى سرواله وقال:
- وطويل القامة أيضاً.
وفيما هي تراقب النار في الموقد، قال لها:
- هنا ابريق، وأظن ان نبع الماء عند الباب، فابحثي عن بعض البن أو الشاي، ريثما اذهب واملأ الابريق.
وكان منظر زوي بذلك القميص الفضفاض والقدمين الحافيتين مثيراً للضحك. وفتحت باب خزانة أخرى فلم تجد اي بن، بل وجدت بعض الشاي وعلبة حليب مجفف. وفيما هما ينتظران الماء حتى تغلي في الابريق، عثرت على بعض علب اللوبياء والكعك، مع قليل من السكر، فقالت:
- على الأقل لن نموت جوعاً.
- علينا ان نفتح العلبة بعد الأخرى. فنحن لا نعلم الى متى سنبقى هنا.
- بالطبع، سنبقى الى أن تمر العاصفة ويصفو الجو.
- على كل حال سنبيت ليلتنا هنا. وفي الصباح ألقي نظرة على الزورق لأرى اذا كان لا يزال في مكانه... لذلك لا أستطيع أن أعدك بشيء الآن.
وفجأة تصبب العرق من جبينها وسألته قائلة:
- هل بامكاننا ان نخبر جدي وجدتي بوجودنا هنا؟ سيقلقان جداً لغيابنا...
- ألم تخبريهما قبلاً أنك برفقتي!
- نعم، قلت لجدتي أني سأرافقك في نزهتك البحرية، لأنني اعتقدت أن بامكاني تغيير رأيك والقبول بذلك.
- ولكني لم أقبل.
- صحيح. ولكنك حين رفضت مرة ثانية جن جنوني، فاختبأت في الزورق لاضعك أمام الأمر الواقع!
- وشعرت انك ربما تفعلين أمراً كهذا. فانت كنت دائماً فتاة مدلعة

يا زوي. ولو كنت وجدتك مختبئة في الزورق لكان عقابك أشد مما تتصورين!

فأجابت وقلبها يخفق بسرعة:

- على كل حال لست نادمة على ما فعلت... أنت تتظاهر بكرهك لي، ولكن لا تنسى انك كنت غرقت في اعماق البحر لولاي. وأنا لا أقول ذلك لأمننك!

- قولي ما تشائين، ولكن هذا لا يغير الواقع، وهو أن ذويك سيقلقون عليك، وليس هنالك ما يمكن أن أفعله... فالظلام مخيم ولا يمكنني أن أذهب الى الزورق لأرسل اليهما برقية بمكان وجودك!

وتطلعت زوي من النافذة فأدركت أن الحق معه، فالعاصفة لا تزال تهب. وفاجأها صوته قائلاً ببرودة:

- لو لم تجيئي معي لكنت الآن في عداد الموتى... ولكن هذا لم يكن ليقلق أحداً.

فصاحت به:

- هذا كلام يجب أن لا يصدر عنك.

فأجابها بما يشبه السخرية:

- يسرني اهتمامك الشديد بي، يا عزيزتي، ولو أني أعتقد أنه غير صادق. والآن أظن من الأفضل أن تأكلي عشاءك وتأوي الى فراشك بانتظار ما يحمله الغد!

أخذ مكادم قرصاً من الاسبيرين، وأصر على القول أن صحته في تحسن. ولكن زوي كانت تزعجه بسؤالاتها الكثيرة عن حاله، فعزم على أن يتبع ارشاداتها. وانتهى طبخ اللوبياء المجففة فأكلاها بلذة وشربا الشاي مع بعض قطع الكعك. ولكن مكادم بقي متجهماً عابساً، مما جعل زوي تتساءل ما الذي يجعلها تحب رجلاً كهذا.

وقالت له:

- أما هنالك من طريقة نوصل بها خبراً الى جدي وجدتي بمكان وجودنا؟

فأجابها بجفاف:
- لو كان هنالك طريقة، ألا تظنين اني كنت استعملها؟
فتمتمت قائلة:
- لا أدري. . .
ثم استدركت قائلة عندما رأت وجهه يزداد تجهماً:
- نعم، أنا متأكدة أنك كنت تستعملها. ولكن ما يشغل بالي الآن هو هذه الجزيرة أكثر من أي شيء آخر. . . هل أنت متأكد ان لا أحد يسكن فيها؟
فهز رأسه قائلاً:
- أنا متأكد، ولا حاجة بي الى ان أطوف الجزيرة في الظلام لزيادة التأكيد، لئلا أقع في حفرة أو من على جرف. . . فهذا جنون مطبق. وعلى افتراض أنني تركتك هنا وحدك وفعلت ذلك، ألا تخافين؟
فقالت معتذرة:
- عفواً يا ريس. يبدو أني مشتتة الذهن ولا أعي ما أقول.
وهنا نهض وأخذ يجمع الأوعية عن الطاولة ويضعها في حوض الغسيل ويصب الماء الساخن عليها. وراقبته زوي وهو يفعل ذلك من دون رغبة في مساعدته. وكان قبل تناول الطعام نشر أغطية الفراش قرب الموقدة. وبعد أن انتهى من غسيل الأوعية، أعادها الى الفراش مطمئناً الى أنها، هي والفراش أصبحت جافة دافئة. ثم قال لها بنبرة خالية من الانفعال:
- تعالي الى الفراش وحاولي أن تنامي قبل أن أنضم اليك.
- تنضم الي؟ وكيف ننام في فراش واحد ونحن غير متزوجين؟
فأجابها بغضب قائلا:
- وماذا تقترحين؟ هل نقسم الفراش الى نصفين؟ أو هل نتناوب على النوم فيه؟
فحملقت في وجهه وهي تضطرب وتتساءل في حيرة ماذا تفعل. فاذا رفضت أوحت اليه انها لا تثق به، واذا قبلت فكيف لها أن

تتحمل وجوده معها تحت غطاء واحد؟

وأدرك مكادم ما يجول في خاطرها، فقال ساخراً:

- أنت لا تثقين بي!

وحين رأى الدموع تنهمر على خديها، مدّ يده اليها وجذبها نحوه بلطف. ثم طوقها بذراعه، فأحست بالدفء يسري الى مفاصلها. ولما أخذ يعانقها استجابت لعناقه تاركة لعواطفها العنان.

وتمتم قائلاً:

- زوي... أنت تعلمين اني لن أؤذيك... ولكنك تجعلين الأمور صعبة بما يصدر عنك من كلام وما يجول في خاطرك من خواطر.

فاجابت وهي تلتصق به:

- اعذرني يا ريس!

فأخذ يلامس وجهها بأصابعه المستطيلة، وقال لها:

- واعذريني أنت أيضاً... أنا مدين لك بحياتي. ولن أنسى ذلك.

فأجابت قائلة:

- لا أريد أن تعتبر ذلك ديناً.

وألقت باحدى يديها على جسمه الدافىء الصلب، وتمتم قائلاً:

- أنا مدين لك بحياتي، ولا سبيل الى نكران ذلك أو نسيانه.

قال ذلك وانحنى عليها ثانية يعانقها دون أن تبدي أية ممانعة بفعل النشوة التي سرت في عروقها. وطوقت عنقه بذراعيها وهو يشدها اليه. وأخذت تتمتم باسمه وهي ترتعش، ثم مالت برأسها الى الوراء وتأوهت كمن داهمه الخطر، فابتعد عنها قليلاً، ثم نهض وحملها الى الفراش وهو يقول:

- حان لك الآن أن تأخذي قسطاً من الراحة.

ومع ان ذلك ما كانت بحاجة ماسة اليه، غير انها لم تكن تريده. وفيما هو يمددها على الفراش تعلقت به قائلة:

ـ عانقني متمنياً لي ليلة سعيدة يا ريس. . . أريدك أن تفعل!
ـ .أنت كطفل يبكي طالباً قطعة من الحلوى. . . لا، لن البي طلبك!

وآلمها جوابه، فمالت عنه ودفنت وجهها في المخدة وهي ترتجف من الغيظ والمهانة.

وكانت تتوقع أن تستسلم الى النوم في الحال لشدّة ما عانته من عناء ذلك النهار، غير أنها لم تستطع أن تفعل. وأبت عيناها الاّ أن تنظرا اليه وهو جالس أمام الموقد، فيجتاحها شعور غريب لا عهد لها به من قبل.

٦ - وساد الصمت

وكانت زوي لا تزال تغالب عواطفها، حين رأت ريس ينهض من مقعده امام الموقد ويتطلع نحوها، فسارعت الى التظاهر بالنوم.
وسار ريس باتجاه الفراش واضطجع بجانبها، ثم تغطى بطرف من اللحاف واخذ نفساً عميقاً.

وحاولت زوي ان تتنفس تنفساً طبيعياً، على الرغم من ان قلبها كان يخفق بشدة، فيما استلقى ريس على ظهره ووضع يديه تحت رأسه.

وتساءلت لماذا وضع يديه هناك؟ هل ليبعدهما عن ملامستها؟ وازعجتها هذه الافكار، وتذكرت جدها وماذا تكون ردة فعله لو رآها هي وريس في فراش واحد.

واستولى عليها الذعر، فواجهت ريس بعصبية شديدة وصاحت كمن يطلب الحماية من خطر مداهم:

ـ لا شك انه سيقتلني!

فسارع ريس الى التخفيف عنها، فمد يده وامسك بها. ثم شدها اليه برفق، اعتقاداً منه انها في حلم مزعج.

وتوقفت زوي عن التفكير بجدها، حين شعرت بذراعي ريس تطوقانها. واقتربت منه وتمتمت قائلة:

ـ ريس!

وفي الحال تصلب جسمه واجابها قائلاً:

ـ ظننتك نائمة.

فقالت متأوهة:

ـ وماذا يهم؟

فلم يبد حراكاً، ولكنها احست بما يعانيه من توتر ثم اصر على سؤاله:

ـ لماذا لا تنامين؟

فأجابت قائلة وهي تلمس يده بأناملها:

ـ كيف لي ان اعرف لماذا؟ قد يكون ماء البحر الذي لا يزال في اذني!

فصاح بها:

ـ زوي! ما قصدك من وراء هذا كله؟

ـ جسمك... يعبق برائحة الملح!

ـ وجسمك ايضاً...

ـ لم اكن اتذمر... فرائحته طيبة!

ومالت برأسها قليلاً، فرأت انه يراقبها ببرودة، مع انه لم يحاول هذه المرة ان يبعدها عنه. قد يكون تمتع بمعانقتها من قبل، ولكنه الآن ربما يجد متعة اكثر في كبح جماح عواطفه.

وتنهدت بشيء من القلق، وعزمت على ان تقوم بعمل ما، ولو

كانت تدرك انها كمن يلعب بالنار. فمدت يدها واخذت تداعب صدر ريس العريض وشعره القاسي تحت راحة يدها.
فقال لها محذراً:
ـ لا اظنك تجهلين مغبة ما انت تفعلين!
فارتعشت لنبرة كلامه القاسية، ولكنها عزمت على مواجهة تصلبه والتغلب عليه، من دون ان تثير غضبه. فقالت له:
ـ لم اضطجع مع رجل من قبل، فعليك ان تقدم بعض التنازلات.
ـ انت لست مضطجعة معي... بالمعنى الذي تقصدين!
ـ صحيح... ولكني قد اضطجع مع رجل يوماً من الأيام اذا حدث ان تزوجت.
فانتهرها قائلاً:
ـ يا لك من فتاة صغيرة حمقاء! اتظنين ان ايان غراهام او فردي فينتس او اي رجل تنوين الزواج منه سيبالي بأخذ شهادة مني بأنك اهلاً لذلك؟
وخشيت ان تكون اغضبته، بخلاف ما عزمت ان تفعل، فقالت باستياء:
ـ لم اقصد الى اي شيء من ذلك!
ـ ولكنك لا تدركين ما تقولين، يا عزيزتي. هنالك حالات تكون فيها الخطوط مرسومة بكثير من الدقة، حتى انه يصعب التذكر اذا كانت بالفعل موجودة...
ها هو يعود الى لؤمه المعهود. وهو لم يكن يدعوها «يا عزيزتي» الا حين تثير اعصابه الى حد لا يحتمل. فاضطربت وحارت كيف تعيد شيئاً من الصفاء الى مزاجه. ولما لم تجد ما تقوله، مالت اليه بوجهها وعانقته.
غير ان ذلك لم يحرك فيه اية ردة فعل، فصاحت به وشعور الخيبة يعصف بها.

ـ اني اكرهك!
ـ ما هذا بجديد. . . فأنت تكرهينني منذ سنين.
ـ لم اكن اتصور من قبل كم انت فظ ومغرور، مما يجعلني الآن اتساءل لماذا تعجب بك النساء؟
ـ لعل من واجبي ان اريك لماذا!
قال هذا واخذها بين ذراعيه في عناق عنيف وهي تصرخ احتجاجاً. ولكنه استمر في ذلك وهو يقول لها:
ـ انذرتك مراراً أن لا تلعبي بالنار!
وكادت زوي تفقد الوعي وهو يطوقها بذراعيه ويشدها اليه. واذا كان عناقه لها من قبل قصيراً، فهو الآن، كما بدا لها، لا نهاية له. وشعرت انه يحملها من دون رحمة ولا شفقة الى عوالم لم تكن تتصور انها سوداء ومحفوفة بالخطر. ولأنه كان غاضباً، فان ما ابداه من العنف في معانقتها جعلها تصرخ مستعطفة:
ـ كفى، ارجوك.
وحين رفع رأسه وبدأ يتلمس خديها وعنقها لم تقاوم ولم تتفوه بأية كلمة، بل طوقت عنقه بذراعيها واخذت تداعب شعره الأسود الكثيف.
وقال لها باختصار:
ـ تطلعي الي!
ورفعت اليه عينيها، فأضاف قائلاً:
ـ اما زلت تريدين الاستمرار؟
ومن دون ان ينتظر جواباً، انحنى عليها مرة ثانية وهي تراقب وجهه، فغمرها احساس دافىء غريب سلب ارادتها واضعف عزيمتها، وتركها عاجزة الا عن الاستسلام اليه بكل جوارحها.
وفجأة سمعت ريس يناديها قائلاً:
ـ زوي! هل تعرفين حقاً ما انت تفعلين؟
فاحتارت بماذا تجيب، ثم تمتمت قائلة:

ـ يسرني انك تستطيع ان تكون صادقاً مخلصاً في احرج الأوقات!
فاستاء لكلامها ونفر منها قائلاً:
ـ هل كنت تعتقدين أني وقعت فيه؟
فنهضت جالسة وهي في دوار وخاطبته في حيرة قائلة:
ـ وقعت فيه؟ ماذا تعني؟
ـ اعني في شباكك الأسرة المغرية!
ثم وقف الى جانب السرير واضاف بازدراء:
ـ اردت ان تصطادي زوجاً لك وظننت اني اكون الفريسة!
ولم تستطع زوي، لأول وهلة ان تستوعب او تتفهم كلامه، وحين استطاعت انّ تفعل تصاعدت حرارة النقمة الى خديها وعلاهما احمرار الخجل المتأجج، فصاحت به:
ـ هل تعتقد حقيقة اني فعلت ذلك عن سابق تصور وتصميم . . . لايقاعك في شباكي والزواج بك؟
وحلق فيها قليلاً قبل ان يجيب قائلاً:
ـ كل شيء كان ممهداً . . . ولعل ذلك هو الذي ادخل في رأسك هذه الفكرة . . . ويجب ان تشكريني لأني عدت الى الوعي وامتلكت زمام امري قبل فوات الأوان . . .
وهنا تساءلت زوي: هل يحاول ان يقول لها شيئاً ما؟ وانهمرت الدموع من عينيها وهي تقول:
ـ لن اتزوجك ولو كنت الرجل الوحيد في الكون . . . عرفتني منذ طفولتي وانا اليوم اشتغل معك ليلاً نهاراً وابذل كل جهدي ووقتي في المكتب وفي الميناء من اجل نجاحك . . . ومع ذلك تصر على الاعتقاد اني فعلت ما فعلت عن نية مبيتة لايقاعك في شباكي؟
فأجابها بحزم:
ـ هل تقبلين بعلاقة غرامية معي، لا اكثر ولا اقل؟
ـ كلا . . . وانت تعرف اني لا اقبل بذلك!
فضحك متهكماً وقال:

ـ اذن، أنت لا تريدين لا علاقة غرامية ولا زواجاً. . . فلم يبق امامك الا ان تقرري ماذا تريدين غير ذلك، قبل ان نتخذ اي خطوة نحو المستقبل. . . حتى لا يكون واحدنا مصدر ازعاج للآخر.

وابتعد عنها عائداً الى مقعده بجانب الموقدة، بعد ان التقط قميصه الملقى على الأرض ووضعه على كتفيه العريضتين.

وساد الصمت بينهما. ولماذا الكلام، تصرفاته كانت ابلغ من اي كلام. انه لا يريد بعد الآن، على ما بدا لها، ان تكون له اي صلة بها الآن يفضل ان يقضي بقية الليلة في مقعده بجانب الموقدة. وتمنت بمرارة ان ينعم مثلها بتلك الساعات الطويلة المليئة بالوحدة والضجر. ثم ادارت وجهها عنه وقبعت في الفراش كالحيوان الجريح، وهي تبكي بصمت الى ان غلبها النعاس.

وعندما استفاقت في الصباح كانت عيناها حمراوين متورمتين. وما ان فتحتهما حتى ابصرت ريس واقفاً قربها يحدق اليها ويناولها فنجاناً من الشاي ويقول:

ـ كيف اصبحت؟

ـ بخير. . . شكراً.

ـ العاصفة هدأت والغيوم بدأت تنقشع. . . وبعد ان انتهي من تناول بعض الشاي، سأنزل الى الشاطىء لأرى اذا كان الزورق لا يزال هناك.

فقالت:

ـ هل ارافقك؟

وقال لها بدون تأثر:

ـ من الأفضل ان تلبسي ثيابك في غيابي، فهي اصبحت ناشفة.

ـ ومتى نتناول طعام الفطور؟

فاقترب منها فجأة ورفع وجهها بيده قائلاً بحنان:

ـ اذا وجدت الزورق هناك وبامكاني الوصول اليه، سأجلب منه بعض المؤن.

فنادته وهو يغادر الغرفة صارخة:

- ريس!

فتوقف عند الباب واجاب:

- نعم؟

- كن حذراً، ارجوك!

- لا تقلقي. انا...

فقاطعته قائلة:

- اذا كان الزورق هناك واستطعت الوصول اليه، لا تنسى ان ترسل برقية!

- سأفعل... الهذا طلبت مني ان اكون حذراً؟

وبعد ان فارقها، سارعت الى ارتداء قميصها وسروالها، ثم هرعت وراءه دون ان تغسل وجهها او تمشط شعرها. وعجبت كيف يخطر في باله انه يمكنها ان تقعد في هذا الكوخ وتنتظر بصبر، وهو ربما تعرض للخطر مرة ثانية؟

وفيما هي تلبس حذاءها الذي ما زال مبللاً بعض الشيء، تساءلت اذا كان ريس يتركها وحدها، هكذا بسهولة هذا الصباح، لو كانت عاطفته نحوها حقيقية؟

وخطر لها انه لولا قدرته على ضبط نفسه، لكانت الآن لا تزال بين ذراعيه. فقهقهت قليلاً لهذه الخاطرة وازاحت خصل الشعر عن وجهها. واسعدها ان يكون له مثل تلك القدرة، ولكنها في الوقت ذاته لم تتمالك من الشعور بالاستياء مما يبديه نحوها من مظاهر التفوق والكبرياء.

ولماذا لا يكون له شعور بالتفوق، وهي تعرف انه متحدر من عائلة لها مكانتها العالية في مدينة ادنبره ومن الطبيعي ان لا يأخذها بعين الجد كثيراً. وهي لذلك تعرف ايضاً كيف كان يستقبل اهله بأسف وامتعاض خبر زواجهما لو انه تم.

وفكرت في ان عودتها الى حالتها الطبيعية ستأخذ بعض الوقت

ولكنها لن تطول. وهي قد تشعر بأنها اصبحت غير ما كانت عليه قبل ليلة امس، ولن يستطيع الواقع مهما كان قاسياً ان يسلبها الاحلام الوردية من عينيها. فالبارحة اقتنعت بأنها مغرمة حقاً بريس مكادم، وهي اليوم تود لو انه لم يدرك ذلك. وفيما لو ادركه، فمن الضرورة ان يفهم ان حادثة الزورق والظروف التي احاطت بها هي التي جعلتها تبدو كأنها واقعة في غرامه.

وحين خرجت من الكوخ كانت رائحة الهواء نظيفة منعشة، والسماء زرقاء صافية الا من بعض الغيوم المتناثرة هنا وهناك. وكان كل شيء هادئاً وهانئاً في اعقاب تلك العاصفة الهوجاء.

ولم تتوقف زوي للتأمل في جمال الطبيعة حولها، وهي في طريقها الى اللحاق بريس. ولاح لها الزورق من بعيد، فابتهجت لأنه بقي في مكانه ولم تجرفه الامواج، وكل ما حدث له هو ان احدى سواريه انكسرت. وحدقت اليه وهي لا تصدق عينيها، ذلك لأنها كانت على يقين بان الصخور لا بد ان تكون حولته الى حطام. وهي حين طلبت من ريس ان يرسل برقية الى ذويها، انما فعلت ذلك من قبل التمني، لا اكثر ولا اقل.

والآن، بعد ان رأت انه من الممكن لهما، ببعض التوفيق، ان يغادرا الجزيرة بأسرع مما توقعت، انشرح صدرها. لأنها كانت تخشى ان تضطر الى البقاء هنا مع مكادم.

ولم يكن مكادم على الشاطىء حين وصلت اليه، بل كان على متن الزورق. فانتظرت الى ان جاء اليها قارب النجاة.

وقال لها:

ـ من حسن حظنا ان الزورق في حالة لا بأس بها، ولكن علينا ان نجري عليه بعض الاصلاحات، بعد ان نتناول طعام الفطور.

ولاحظت زوي انه كان يتكلم بلهجة من عزم على اعادة الأمور بينهما الى سابق عهدها، فقررت ان تساعده على ذلك. فقالت باختصار:

- انا آسفة يا مكادم على ما جرى الليلة الماضية.
فحدق اليها وقال ببرودة:
- ارى اننا عدنا الى هذا...
- لم اعد اليه الا لأني اريدك ان تعلم بأني لست راضية عما بدر مني.
- الحق معك. ولكني لم اقصد ما جرى في الليلة الماضية، وانما اقصد عودتك الى مناداتي بـ«مكادم»... بدلاً من ريس!
فأجابت بلامبالاة:
- لم اعر هذا الأمر اي انتباه.
- اذن، لم يطرأ عليك اي تغيير، بعد كل هذا الذي جرى بيننا.
فسرت القشعريرة في جسمها تحت تأثير نظراته الحادة اليها، ولكنها اجابت بكل جرأة:
- وانت، لا اظنك تريدني ان اتغير.
فاقترب منها قليلاً، مما جعل قلبها يزداد خفقاناً. ولكنها عمدت الى تحويل اهتمامه الى موضوع آخر، فسألته قائلة:
- هل جهاز الارسال صالح للعمل؟
فتوقف عن الاقتراب منها وقال:
- نعم، وأرسلت برقية تقول اننا صادفنا بعض المتاعب ولكننا سنعود في اواخر هذا النهار... ولم اعط اية تفاصيل حتى لا اشغل بال جدك وجدتك.
- شكراً.
ثم خطر ببالها ان تقول برعونة:
- اتمنى لو كنت تتصرف دائماً تصرفاً انسانياً...
فأمسك بكتفيها وصاح غاضباً:
- الم اتصرف تصرفاً انسانياً في الليلة الماضية؟
وشعرت بأصابعه تغرز في جسمها الغض النحيل، وبكيانها يذوب في زرقة عينيه الغامقة. واذا النار التي ظنت انها خمدت في

احشائها منذ ساعات بدأت تتقد وتبعث في رأسها الدوار.
وشدها اليه بعنف وراح يعانقها محاولاً اخضاعها اليه، فصاحت به:
- اليك عني!
- سأتركك ولكن الى حين.
وابتعد عنها وهو يقول كأن شيئاً ما لم يحدث:
- هيا، فلا وقت لنا لنضيعه.
وبعد قليل هيأت زوي طعام الفطور على ظهر الزورق، فيما مكادم يعيد النظر في الاصلاحات ووسائل القيام بها، قبل الابحار في طريق العودة.
ثم بدأ العمل، فاستغرق اصلاح الزورق طوال الصباح وبعض ساعات بعد الظهر، وكانت زوي تقوم بالمهمة الموكولة اليها بمهارة لا تحتاج فيها الى اراشادته وتعليماته.
وقبل ان ينتهي العمل تماماً، اقترح ان يتوقفا قليلاً لتناول القهوة. وبعد ذلك قالت زوي بلهجة عادية:
- فيما انت تتابع العمل هنا، سأذهب الى الكوخ واجلب حوائجنا اذا كنت لا تمانع.
- اعطيك نصف ساعة لتفعلي ذلك، لا اكثر.
- نصف ساعة تكفي وتزيد.
ونظر الى وجهها الشاحب، ولكنه لم يتطوع لمرافقتها.
وفي الكوخ، جمعت الحوائج وجالت بنظرها في ارجاء المكان. وشعرت بجفاف في حلقها وهي تفكر انها كانت تود ان تبقى هنا وقتاً اطول لو ان الأمور بينها وبين ريس لم تنته الى ما انتهت اليه. وكم سرها عندئذ ان تطوف في انحاء الجزيرة لاستكشاف محاسنها، ثم تعود الى الكوخ، فتتناول الطعام مع ريس بجانب الموقد، غير مبالية بأي شيء آخر.
وفيما هي عائدة الى الزورق دهشت اذ التقت ريس على المرتفع في

طريقه الى الكوخ، فبادرته قائلة:
ـ هل انت ذاهب الى الكوخ لمساعدتي؟
ـ ذهبت لملاقاتك... هل كل شيء على ما يرام؟
فظنت انه يقصد الكوخ في كلامه فأجابت قائلة:
ـ الكوخ رائع... واسفت لمغادرته.
ـ من حسن حظنا اننا وجدناه، والا كنا قضينا ليلة شاقة في العراء.
فلم تتمالك من الاجابة قائلة:
ـ وهل ستكون اسوأ من الليلة التي قضيناها فيه؟
فلزم جانب الصمت وسار امامها نزولاً الى الشاطىء. وقالت له:
ـ هذا الكاتب، هل يطلب ثمناً باهظاً لجزيرته؟
ـ كلنا نطلب، في هذه الأيام، ثمناً باهظاً لما نملكه... ما عدا هذه الجزيرة، فقد لا تجد من يدفع اي ثمناً للحصول عليها!
ـ ولكنها جميلة.
ـ الا ان لا شيء فيها يغري فتاة حسناء مثلك!
فأثار هذا الكلام غيظها، فردت عليه قائلة:
ـ لماذا؟ اي نوع من الفتيات تظنني؟
فقال لها وهو يسندها لكي لا تقع وهي تصعد كومة من الرمل:
ـ اذا بدأت معك هذه المرة...
ورمقها بنظرة حادة ثم اضاف قائلاً:
ـ قد لا استطيع ان اتوقف، ونحن الآن في عجلة من امرنا.
وفي المساء وصلا الى البلدة، وقبل ان يغادرا الزورق، اسرعت زوي الى المغسلة وغسلت الأوعية التي استعملاها في تناول طعام الفطور، ونظفت ورتبت كل شيء، ثم عزمت ان تطلب من ريس ان يأخذها الى البيت في الحال، لكي تطمئن جدها وجدتها بوصولها سالمة. ولكنها عندما صعدت الى ظهر الزورق وتطلعت نحو الشاطىء استولت عليها الدهشة حين رأت جدها بقامته المهيبة

وشعره الشائب الذي يتلاعب به الريح واقفاً على رصيف الميناء ووراءه عمال الشركة، وكلهم ينتظرون عودة الزورق بفارغ الصبر.

وركضت زوي مسرعة الى لقاء جدها وهي متخوفة من وقوع صدام مرير بينها وبينه، ثم بينه وبين ريس.

ووقع ما كانت تتخوف منه، حين اخذ جدها تاغرت يصرخ في وجه ريس ويتهمه بأن اختطف حفيدته. وحاولت ان تقف بين الرجلين، فالتفت اليها جدها بغيظ شديد صائحاً بها:

ـ اهدأي واسكتي... الا تخجلين من نفسك لهذا العار الذي جلبته على بيتي وعلى كل اصدقائك هنا؟

وهنا استشاط ريس غضباً وتصدى له قائلاً:

ـ كفاك. اياك ان تتفوه بكلمة!

قال ذلك وامسك زوي بذراعها وشد عليها بعنف مشيراً عليها بالسكوت هي الأخرى.

وحين ساد الصمت تقدم بهدوء نحو تاغرت واخبره باختصار ما جرى لهما، فقال:

ـ هبت علينا عاصفة شديدة ونحن في عرض البحر... وانت تعلم يا تاغرت، من خبرتك الطويلة في مثل هذه الحال، ما يحدث للزورق في وجه عاصفة كتلك العاصفة... فهو لا بد ان يصطدم آخر الأمر في صخور الشاطىء، وكان هذه المرة شاطىء جزيرة الكاتب سام كولتر... وبالاضافة الى ذلك وقعت على رأسي احدى السواري فغبت عن الوعي ولولا حسن حظنا لكنا، انا وزوي، في عداد الأموات.

وثارت ثائرة تاغرت عوض ان تهدأ، فرفع سبابته في وجه ريس قائلاً:

ـ كنت تعلم ان الطقس كان متقلباً وينذر بهبوب العواصف الشديدة، ولكنك مع ذلك لم تذهب وحدك على الاقل، بل اخذت زوي معك...

فصاحت به زوي قائلة:

ـ لا يا جدي، ما تقوله غير صحيح...

ولكن ريس طوق خصرها النحيل بذراعه ومنعها ان تروي لجدها كيف صعدت الى الزورق خلسة واختبأت، وكيف غادر ريس الميناء دون ان يعلم بوجودها.

وقال ريس مخاطباً تاغرت:

ـ الحق معك يا تاغرت... ولكن كل المخاوف والشكوك التي تساورك عما جرى بيننا فيما بعد، لا اساس له من الصحة.

ـ صحيح؟ واين قضيتما ليلتكما؟

وحاولت زوي ان تصيح ولكن الكلام جمد في حلقها. وشعرت ان ريس أيضاً لم يعد قادراً على الكلام، فيما ساد الصمت المطبق على الجميع.

٧ - عتبة المجهول

وفي آخر الأمر تكلم ريس بصوت هادىء ولهجة رصينة، فقال مخاطباً تاغرت:

ـ أظن انه من الأفضل ان نكمل حديثنا في مكان آخر يا تاغرت، اذا لم يكن عندك مانع.

فأجابه تاغرت بغيظ شديد:

ـ بالطبع، هذا يلائمك ويكون لصالحك، اما هكذا يا مكادم؟ فأنت تقضي الليلة مع حفيدتي، ثم تتوقع مني ان ابحث معك الموضوع بهدوء في مكان آخر ويوم آخر، تماماً كما يطيب ويحلو لك؟ لا يا عزيزي!

وهنا احتقن وجهه بحمرة الغضب، فخشيت زوي ان يصيبه

مكروه. ثم تابع كلامه قائلاً:

- وانت بعملك هذا اسأت الى ولدي الوحيد الذي قضى نحبه ولذلك اريدك ان تتعهد الآن، امام هؤلاء الرجال هنا، بأن تدفع الجزاء عما اقترفت يداك!

فقال له ريس وهو يحدق اليه بنظرات ملؤها الحنق:

- أي نوع من الجزاء تريدني ان ادفع؟

فصاح تاغرت بصوت شديد:

- أن تتزوجها. هذا هو جزاؤك الوحيد!

ورأت زوي وهي تشهق بالبكاء، جدها والآخرين يضعون اللوم كله على ريس. فهو اكبر منها سناً، وهذا يجعله مسيطراً على زمام اي موقف يطرأ عليهما وتوجيهه الوجهة التي يشاء. ولكنها وجدت مبرراً لاتهاماتهم، فهم لم يكونوا مطلعين اطلاعاً كافياً على حقيقة ما جرى بينهما في تلك الليلة التي قضتها مع ريس. غير انها في الوقت نفسه شعرت بالنقمة عليهم لأنهم شكوا في نزاهة ريس وصدقه.

وفجأة وجدت نفسها تخاطب جدها قائلة بغيظ، غير مبالية بيد ريس التي كانت تشد على ذراعها لمنعها عن الكلام:

- يجب ان تخجل من نفسك يا جدي. لا شيء جرى بيننا. . . لا شيء على الاطلاق مما يبدو لي انكم جميعاً تفكرون فيه. وهل من المعقول ان يكون غير ذلك.

وقال ريس بحزم مخاطباً تاغرت:

- ادعوك للمرة الأخيرة ان تأتي الى مكتبي، والا سحقت كل عظم من عظامك، غير مبال بشيخوختك! فأنا لم اعد احتمل الوقوف هنا ومناقشة هذا الموضوع في العلن.

واذعن تاغرت بالطبع، لأنه كان يخشى ريس اكثر مما كان ريس يخشاه. وفي كل مرة كان يحتدم الصراع بينهما كان تاغرت هو الذي يخسر عن طيبة خاطر.

وادهش زوي كيف انتهت الأمور كما انتهت اليه، فلم تستطع ان

تتفوه بكلمة، اذ راعها واحبط عزيمتها تصريح ريس في عرض الحديث انه سيتزوجها. ذلك انه اذا كان سيتزوجها تحت ضغط جدها تاغرت، فهو لن يغفر لها. فتمتمت وهي تحدق الى جدها بغيظ شديد:

- ريس!

فانتهرها قائلاً بخشونة:

- اسكتي!

وتوارى العمال الحاضرون، ربما الى منازلهم لمواجهة نسائهم الغاضبات لتأخرهم، ولتناول طعام عشائهم بارداً. ورجحت زوي انهم لن يخبروا احداً بما جرى، ولكن للوقائع طرقها الخاصة الى آذان الناس.

وعادت زوي الى كامل ادراكها بعد ان وصلت الى المكتب، فقالت لمكادم وهي تنظر اليه بازدراء:

- لن اتزوجك يا مكادم، وانت تعرف ذلك!

فأجابها بايجاز:

- نعم ستفعلين!

ثم اضاف قائلاً:

- اسمعي يا زوي . . . اريدك ان تعديني بان تتركي الأمر كله لي.

- وهل لي خيار غير ذلك؟

- كلا!

فصاحت به قائلة:

- ولكني لن اسمح لك بان تضحي بكل شيء في سبيل الزواج بي.

فابتسم في وجهها ضاحكاً. وعجبت ماذا وراء ابتسامته هذه.

ودخل تاغرت وجلس صامتاً لا يبدي ولا يعيد، غير ان ريس اخذ يتصرف معه تصرفاً في منتهى الخشونة. وانتهى الحديث بينهما الى قرار، وهو ان يتم الزواج بأسرع وقت، على ان لا يتجاوز

الشهر الواحد.

وحين غادر تاغرت المكتب، بعد ان وعده ريس باللحاق به بعد قليل برفقة زوي، رفعت زوي عينيها نحو ريس. كانت سمعت ما دار من حديث بينه وبين جدها فلم تنطق بكلمة، نزولاً عند طلبه. اما الآن فلم تتمالك من القول له:

- ريس... لا يمكنك ان تكون جاداً في امر زواجنا!

- ولماذا لا؟

- لا لشيء الا لأني لا استطيع ان اتزوجك؟

فرفع بيديه بعض الرسائل عن طاولته ثم اعادها الى مكانها وهو يقول:

- ولكنك لن تتزوجي رجلاً اخر غيري!

وهنا تساءلت اذا كان يدرك ما يجري في ذهنها، فقالت:

- ريس... الا ترى ان المسألة تثير الهزء؟ ما جرى هناك يصلح ان يكون فصلاً من مسرحية لشكسبير... لا احد يمكن له ان يأخذها بجد.

- اتعتقدين ذلك؟ اما لاحظت وجوه الرجال، خصوصاً عندما ناديتني «ريس» امامهم لأول مرة؟

فاحمر خداها خجلاً، ولكنها اصرت على القول:

- لو لم يكن جدي معهم هنالك لما استوقفهم قضاؤنا الليلة معاً في الجزيرة ولا اعاروها اي اهتمام.

- وكيف تعرفين ذلك؟

قال هذا الكلام بقليل من الرفق ووضع يده على ظهر الكرسي التي تجلس عليها، ثم انحنى وتابع كلامه قائلاً:

- انظري الي يا زوي، هل تغيبنا مرة من قبل، مثلما تغيبنا هذه المرة؟ انت تدركين اني لا ادير شركة ضخمة يضيع فيها الحابل بالنابل، بل ادير شركة صغيرة، افرادها اشبه بعائلة واحدة. فهؤلاء الذين يعملون معنا في الشركة هم رجال اعتنوا بك منذ صغرك

وحموك من كل مكروه.
ـ ولكنهم يلومونك على شيء لم يحدث على الاطلاق!
ـ اما كاد ان يحدث؟ وسواء حدث ام لا، فالضرر قد وقع، وعلي ان اعالجه.
ـ وهل تعتقد انك تعالجه بالزواج بي، الا ترى ان زواجاً مفتعلاً اسوأ من انتشار شائعة كهذه؟ فهي ستنسى يوماً، ولكننا اذا تزوجنا فلن تنسى ابداً.
فبادرها بالقول:
ـ هذا كلام هراء. فشائعة كهذه تصبح مع مرور الأيام شيئاً لا يحتمل. ولكن اذا رآنا الناس سعيدين في زواجنا، فلا بد ان ينسوا كل شيء آخر بسرعة. ثم ان القليلين من الناس هنا يعتقدون حقاً اني لم اعرف ماذا كنت افعل!
فأجابته وعيناها الخضراوان تشيعان ما كان يعتمر في احشائها من ألم:
ـ ولكنك لم تكن تعرف ما تفعل... لماذا لا تدعني اخبرهم باني دخلت الزورق خلسة واختبأت به دون ان تدري؟
ـ لأن ذلك لا يؤثر في الأمر اطلاقاً، والأفضل ان اتلقى اللوم كله وحدي. وبذلك يشعر رفاقك في العمل بالشفقة عليك، لا اكثر ولا اقل.
فقالت بصراحة:
ـ انت لا تحبني... انت مغرم باورسولا فندلي، وقد تكون اسعد حالاً مع فتاة مثلها!
وحين وافقها على كلامها، قالت متوجعة:
ـ انت مغرم بها منذ زمن طويل...
ـ نعم، ولكني متأكد انها تتفهم موقفي!
اي جواب هو هذا الجواب؟ وآلمها انها لم تكن على علم بذلك، وتساءلت لماذا لا يذهب في تمثيل هذه المهزلة الى النهاية، فيظهر حبه

لها؟ الا يكون ذلك افضل من ان يزرع الشك في خاطرها عن حقيقة علاقته باورسولا؟

وقالت له:

- انت قلت انك لا تريد ان تقع في الفخ... اتذكر؟

فأجابها قائلاً:

- قلنا كلاماً كثيراً تلك الليلة يا زوي، ومن الخير ان ننساه. وانا اقترح ان ننزع ما جرى لنا من ذاكرتنا ونبدأ بداية جديدة.

- انت تطلب المستحيل.

- لا شيء مستحيل، والا تأملت طويلاً على غير طائل. فمن الناس من يتلذذ بتعذيب نفسه.

ورفع يده على ظهر الكرسي وتناول وجهها في راحته وانعم النظر اليه، فرآه متعباً شاحباً، ثم تابع كلامه قائلاً:

- عليك الآن، قبل كل شيء، ان تذهبي الى البيت وتأخذي قسطاً من الراحة.

فنهضت عن كرسيها وهي تقول:

- وماذا سيحدث في صباح اليوم التالي؟

فتح لها باب المكتب قائلاً لها:

- اخرجي وتصرفي كأن شيئاً ما لم يحدث. ومن الآن الى الصباح ستستعيدين السيطرة على اعصابك، كما على كل شيء آخر...

واوصلها الى البيت وودعها على عجل. وكم كانت دهشتها شديدة حين وجدت جدتها تنتظرها وحدها والشورباء بعد ساخنة، وكذلك ابريق الشاي. ولم تكن زوي تشعر بالشهية ولكنها رأت ان من اللياقة ان تساير جدتها، فأخذت تتناول بعض الشورباء، فيما سكبت جدتها فنجانين من الشاي.

وجلست جدتها قبالتها على مائدة المطبخ واخذت تحرك السكر في فنجانها وعلى وجهها امارات التفكير، وقالت:

- جدك ذهب الى فراشه، فهو يشعر بالتعب وبالخجل من نفسه.

ـ نعم، هكذا يجب ان يشعر.
فتأوهت جانيت وقالت:
ـ ولكن عندما لم تعودا البارحة استولى علينا القلق الشديد. وفي هذا الصباح تضايق جدك كثيراً، على الرغم من البرقية التي ارسلها السيد مكادم. بالطبع سررنا انكما سلمتما من الخطر، ولكن مكادم كتب برقية بأسلوب يوحي بأنه كان بامكانكما ان تعودا ذلك المساء لو انكما بذلتما الجهد الكافي!
فقالت زوي محتجة:
ـ كلا، لم يكن بامكاننا ان نفعل ذلك... فالعاصفة كانت شديدة جداً.
ـ وعلى كل حال، فجدك كان بالغ التأثر، حتى انه وصل الى حال يرثى لها هذا المساء.
ـ اواه يا جدتي، ليتك رأيته كيف وقف بين الرجال العاملين في الميناء واجبر ريس على ان يتزوجني!
ـ هكذا قال لي. ولكن الرجال طيبون ومخلصون، ولن يخبروا احداً بما جرى. وجدك اذعن ورجع عن موقفه، ولن يجبر احداً على ان يفعل اي شيء. وسيجتمع بالسيد مكادم غداً ليعتذر له ويخبره بالغاء فكرة الزواج!
ونهضت زوي في الصباح باكراً لتذهب الى المكتب، فوجدت رسالة على الأرض امام الباب. كانت من ريس، وهو يطلب منها ان تبقى في البيت ذلك النهار لأنه سيغيب عن المكتب طيلة الصباح.
وفكرت زوي انه ترك الرسالة منذ مدة طويلة، والا لكانت سمعت وقع خطواته لأنها استفاقت من نومها باكراً جداً. وتساءلت: اين يمكن ان يذهب ذلك النهار؟ وقرأت الرسالة مرة اخرى وهي تشرب فنجاناً من الشاي وتقضم قطعة من الكعك بدون شهية.
وكان جدها دخل الى غرفتها في الليلة الفائتة وهو يشعر بالندم وتبكيت الضمير، واقسم لها انه لم ينو على الاطلاق ان يتحدى ريس

كما فعل. واخبرها انه سيجتمع مع ريس في الصباح ويسوي الأمر معه. واكد لها ما اخبرتها به جدتها جانيت من ان لا حاجة بعد الآن للزواج بريس. ثم طلب منها ان تنقل هذا التبدل في موقفه الى ريس، اذا هي التقته قبل ان يلتقيه هو.

ولكن كيف ستفعل ذلك وهي تجهل مكان وجوده؟ هل يا ترى عاد اليه الزكام، فلزم فراشه؟

وتركت رسالة ريس في البيت ليقرأها جدها ويوفر على نفسه مشقة الذهاب الى الميناء لمقابلة ريس. وفي آخر الرسالة اضافت بخط يدها انها ذاهبة الى المكتب على اية حال، لتعمل ما يمكن لها عمله وتعود بأسرع ما يمكن من الوقت.

وحين دخلت المكتب لم يكن ريس هناك كما راودها الأمل. ثم جلست والدموع تترقرق في عينيها. اما زملاؤها في المكتب، فتصرفوا نحوها تماماً كما اخبرها ريس انهم سيتصرفون. ذلك انهم تحدثوا اليها كأن شيئاً ما لم يحدث.

وعاد ايان من عطلة نهاية الاسبوع. واستولت عليه الدهشة حين وجد ريس غائباً، فاكتفت زوي باعلامه ان ريس لن يحضر الى المكتب ذلك النهار، وانها لا تعلم اين هو.

وبعد ان قامت بفرز الرسائل التي حملها البريد، سارعت الى الخروج من المكتب وراحت تسير في الشارع على غير هدى. وبعد الظهر تلفنت الى ريس في بيته على امل ان تجده هناك، ولكنها لم تحصل على جواب.

ثم اوت الى فراشها تلك الليلة، فلم يستقر لها قرار ايضاً. وما ان طلع الصباح حتى هرعت الى الميناء فوجدت ريس هناك. فخفق قلبها خفقاناً شديداً، وشعرت بالألم يسري في مفاصلها.

ونادته بنبرة لاهثة:

ـ ريس!

فنظر اليها نظرة تأنيب على مجيئها باكراً وقال:

ـ زوي! هل كان من الضروري ان تبكري هكذا كتلميذة المدرسة؟ على زوجتي العتيدة ان تتصرف دائماً برصانة.
ـ زوجتك العتيدة؟
فتجاهل كلامها وقال لايان الواقف الى جانبه:
ـ حدث ذلك اثناء عطلة الاسبوع... والآن اسمح لي ان اقبل خطيبتي قبلة الصباح واتحدث اليها قليلاً على انفراد.
وقالت له زوي بغضب:
ـ الا تخجل من نفسك؟ كيف تخبره بأمر لا صحة له؟ بذلت جهدي البارحة في العثور عليك لاخبرك ان جدي بدل موقفه حيال زواجنا. فأنت الآن غير ملزم بالزواج بي!
فمد ريس يده وجذبها اليه بعنف، فأحست بالذعر والحيرة. وسرعان ما وجدت نفسها بين ذراعيه وهو يعانقها برفق، ثم لم يلبث ان اشتد عناقه حتى كادت تذوب. وشعرت بدوار في رأسها، ولكنها كانت تعي أية رغبة جامحة هي رغبته واية عاطفة هوجاء هي عاطفته في تلك اللحظة.

وفجأة استجمعت قواها وافلتت منه صوب النافذة، ثم استدارت نحوه وجهاً الى وجه وقالت له:
ـ الم تسمع ما قلت لك؟
فأجابها متجاهلاً:
ـ وماذا قلت لي؟
ـ قلت لك انك حر ولم تعد ملزماً بالزواج بي... جدي لم يعد يصر على ذلك!
ـ اما انا فأصر عليه. انت مخطوبة لي، واذا ظننت اني سأقلب حياتي رأساً على عقب مرة اخرى، فأنت واهمة.
ـ كفاك... لا تكن احمق! فالأمر يخصني بقدر ما يخصك، وهو رهن مشيئتي كما هو رهن مشيئتك... ثم انك لا تحبني.

فقال مازحاً:

- ارانا عدنا الى الحكاية ذاتها. . . الحب يا صغيرتي جهد ضائع، وهو يجعلني اتوجع على غير طائل.

- ولكنك وقعت في الحب. . . ولا تزال!

- نعم، الى حين، فالمرأة التي احبها لا تحبني، رغم الجهود التي بذلتها. ولذلك عزمت ان اتزوج من دون حب.

وفاجأها التغير الذي طرأ على مزاجه، فزال احمرار الغضب عن وجنتيها. وفكرت ان ريس لا يعلم انها تحبه، وهو لا يظن انه يؤذيها بالزواج بها. ولكن كيف لها ان تتزوجه، خصوصاً الآن بعدما علمت انه يحب امرأة اخرى؟ فيا لها من مسألة معقدة!

وتقدم ريس نحوها واخذ يديها بيديه قائلاً:

- لن يكون زواجنا فاشلاً يا زوي. . . فأنت فتاة جميلة وانا رجل وسيم.

فابتعدت عنه مرة ثانية، لا لأنها تريد الابتعاد وانما لأنها خافت ان ترتمي في احضانه تحت تأثير نبرة الحنان التي طرأت على صوته. وفكرت انه لا يمكن ان يكون واقعاً في غرام امرأة اخرى، اذا كان يداعبها مثل هذه المداعبة.

وقالت له:

- ريس ارجوك. . . لم اعد مخطوبة لك.

- بلى، يا حبيبتي وسيظهر هذا الخبر في جميع الصحف هذا الصباح. وانا غبت نهار البارحة لأني ذهبت الى ادنبره لهذا الغرض.

- اذن، كنت في ادنبره نهار البارحة!

- نعم، بعد ان اجتمعت بالقس وحددنا موعداً بعد شهر من يوم الاثنين الفائت.

ونظرت اليه زوي غير مصدقة وقالت:

- وهل جننت؟ ولماذا هذا التمسك بمدة شهر؟ لماذا لا يكون الموعد غداً او بعد سنة؟

وحافظ ريس على مزاحه الهادىء واكتفى بالقول:
ـ دعينا ننتظر لنرى!
وشعرت زوي ان الفخ يطبق عليها، وانها لا تستطيع ان تفهم موقفه. فهو يتجاهل كل احتجاج تقدمه.
وقالت له:
ـ ليتني وجدتك البارحة قبل ان تذهب الى ادنبره، اذن لمنعتك عن الذهاب. كان بامكانك ان تتلفن للصحف بخبر خطوبتنا، فلا تتكبد مشقة السفر الى هناك.
ـ ذهبت لأزور ابي وامي!
ـ ابوك وامك؟
ـ لي اب وام كما تعلمين. . . تماماً مثلما سيكون لأولادنا اب وام!
اغتاظت لاصراره على مسألة الزواج فقالت:
ـ ولماذا قمت بزيارة ابيك وامك؟ هل لأنك كنت في المدينة؟
فأجابها بهدوء:
ـ لا بل قصدتهما لأخبرهما بنفسي عن خطوبتنا قبل ان يقرآها في الصحف. وهذا على الأقل ما تقتضيه اللياقة.
فحدقت اليه بشيء من الريبة والشك وقالت:
ـ وماذا بعد؟
ـ سيحضران الى هنا غداً، وهما في شوق للقائك.
ـ ظننت انك لم تكن على علاقة ودية معهما!
ـ هذا صحيح، ولكن في مناسبات كهذه يجب العمل بما تقتضيه اللياقة، كما قلت لك.
ـ يا لك من منافق!
فأجابها محتفظاً بهدوء اعصابه:
ـ انا معجب بآرائك الصريحة، ولكن ارجو ان لا تكوني دائماً بمثل هذه الصراحة.
هل كان ينذرها ويحذرها؟ غير انها لم تبال، فقالت له:

ـ جدي سيأتي الى هنا في اية لحظة.

ـ لن يأتي، لأني ارسلت اليه ان لا يفعل. فأنا افضل ان اتحدث اليه والى جدتك في البيت. وسأذهب الى هناك في الحال. ويمكنك في غيابي ان تقومي بعملك كالمعتاد.

واستولى عليها الرعب فقالت:

ـ لا استطيع ان ابقى هنا وحدي، وافضل ان ارافقك، لئلا تعرض عليهما المسألة من وجهة نظرك انت...

فاحتد وصاح بها:

ـ اذا حاولت مرافقتي، فسأربطك الى تلك الكرسي واقفل الباب. وسأضع على فمك كمامة واسد ثقب الباب حتى لا يفتحه احد.

وشعرت انه يعني ما يقول، فتضرعت اليه قائلة:

ـ ارجوك يا ريس ان تلزم جانب التعقل... نحن لا يمكن ان نتزوج!

واثاره هذا الكلام، فأمسك كتفيها بكلتا يديه وهزها هزاً عنيفاً وهو يقول:

ـ اسمعي يا زوي! انت اوصلتني الى هذا المأزق، واذا كنت تظنين انك تتجنبين الدخول فيه، فأنت مخطئة... فأنا غير مستعد ان ابدو غبياً مرتين... ويمكنني، كما ذكرت لك، ان اكتفي بزوجة تلبي احتياجاتي!

وغرز اصابعه في كتفيها لشدة الغضب، فخفق قلبها خفقاناً شديداً من الرعب وشعرت ان القيود التي تربطها به تزداد وثوقاً.

وصاحت به:

ـ ارى انني انا التي وقعت في الفخ.

فاكتفى برفع يديه عنها، فلم يتوفه بكلمة. وفيما هو يستعد للخروج من المكتب، قالت له:

ـ هل سيقيم والداك طويلاً هنا؟

ـ ربما لمدة اسبوع، ثم يعودان لحضور حفلة الزواج.
ـ لمدة اسبوع؟ واين سيقيمان؟... في بيتك.
ـ كلا، في الفندق. وسنتناول كلنا طعام العشاء غداً.
ـ كلنا؟ من تعني بـ«كلنا»؟
ـ انت وأنا، وجدك وجدتك، وابي وامي.

وصعب على زوي ان تصدق ما سمعته وما رأته، وكيف انه في اقل من يومين قام بجميع تلك المساعي والتدابير تنفيذاً لارادته. فاقنع تاغرت بانه سيتزوجها نزولاً عند طلبه، كما اقنعه واقنع زوجته جانيت بان هذا ما تريده هي. وفضلاً عن ذلك جعلهما يقبلان دعوته الى العشاء مع والديه وهكذا لم يكن امامها الآن الا ان ترضخ للأمر الواقع بلياقة وتهذيب. غير انها في المستقبل ستبذل جهدها في سبيل منع حصول ذلك الزواج.

وتلفن والدا ريس انهما وصلا الى الفندق. وفي المساء اخذ ريس زوي وجدتها وجدها بسيارته الى الفندق. ولبست زوي ثوباً اخضر طويلاً لهذه المناسبة، فلائم لونه عينيها الخضراوين الناعستين وشعرها الذهبي الفاتح. وكان الجد والجدة تعرفا الى والدة ريس من قبل، ولكنهما لم يلتقياها بعد زواجها. وحين سألت زوي جدتها ان تصفها لها، اجابتها انها، على ما تتذكر، امرأة طيبة المعشر.

وفيما هم يدخلون الفندق، خامر زوي شعور الاعتزاز بجدها وجدتها. وكانت جدتها تلبس فستاناً ازرق اللون يتناسب مع شعرها الفضي. وعلى الرغم من شيخوختها، فان السنين لم تستطع ان تطمس جمالها. واما تاغرت، فكان يرتدي بزة رمادية اللون اضفت على قامته الفارعة الجليلة مهابة صقلتها الأيام. واذا كان هنالك جفاء بينه وبين ريس، فانه لم يكن ظاهراً على الاطلاق. وهذا ما شرح صدر زوي، ووفر عليها عناء التحيز لهذا الجانب او ذاك.

وكان والدا ريس ينتظرانهم في بهو الفندق. ووضع ريس ذراعه حول خصر زوي وهما يسيران مع الجد والجدة نحو البهو. وحبست

زوي انفاسها حين اخذت تصافح والدي ريس. وكان الوالد لا يشبه ابنه الا قليلاً. باستثناء عينيه. وخالجها شعور غريب بان يكون للرجلين حدة النظر ذاتها. وكانت الوالدة انيقة المنظر، واثقة من نفسها، وهي صفة ورثها عنها ابنها.

وبعد ان تصافح الجميع واخذوا يتجاذبون اطراف الحديث، لزمت زوي الصمت وآثرت ان تكتفي الآن بتكوين فكرة عن والدي ريس. فهي لم تتهيبهما، ولكنها لاحظت انهما كانا من عالم آخر. واستغربت كيف ان جدها وجدتها كانا اكثر منها انتماء الى ذلك العالم، وخصوصاً جدتها التي كانت واسعة الاطلاع وبمقدورها ان تشارك في المواضيع التي يجري عليها الحديث حول مائدة الطعام.

وشعرت زوي ان ريس يرمقها بنظراته الساخرة بين الحين والآخر، فساءها ذلك. لم يكن احد يسألها عن اي شيء، فهل تلام اذا هي لم تشارك في الاحاديث؟ كانت تجلس على يمين ريس، فكان يسمح لنفسه بأن يمسك يدها اليسرى اكثر الأحيان ويداعب الخاتم الجديد الذي كان يطوق خنصرها.

وظنت انه يفعل ذلك بشرود ذهن، الى ان همس في اذنها قائلاً:

- آمل ان يذكرك هذا الخاتم بأنك لي!

وارتعشت لهذا الكلام، لأنها لاحظت ابتسامته التي دلت على رضاه وقناعته بما انتهت اليه علاقتهما.

وسألت جانيت والدي ريس:

- هل ستطول اقامتكما بيننا؟

فأجابتها الوالدة قائلة:

- بضعة ايام لا اكثر. وفي هذه المدة اود ان ازور بعض الاصدقاء هنا كعائلة فندلي... فابنتها اورسولا، كما ربما تعلمين، تقيم احياناً عندي في الدنبره، وهي فتاة عزيزة جداً على قلبي.

قالت هذا الكلام ورمقت ريس بنظرة حسبتها زوي تحمل بعض التأنيب.

وفجأة سرت قشعريرة في مفاصلها، فحدقت امامها بصمت وتساءلت: ماذا بي؟ وكانت تعرف ما بها. ذلك انها كانت تجهل ان اورسولا فندلي على علاقة حميمة بوالديه، او انها كانت على الأقل تعرفهما.

وقالت الجدة موجهة كلامها الى والدي ريس:

ـ ليتكما تأتيان لزيارتنا قبل ان تغادرا البلدة. فهذا يسعدنا جداً.

فأجابت الوالدة بلياقة:

ـ ويسعدنا نحن ايضاً. ولكن علينا ان نهتم قبل كل شيء بحفلة الزواج التي آمل ان تجري في جو من الهدوء.

فسارع ريس الى القول:

ـ هذا يتوقف على ما تريده زوي.

فقالت الوالدة:

ـ حين تزوج ابني الاصغر، اقام اهل العروس - السيد ملكولم واللايدي لودر حفلة زواج لابنتهما منقطعة النظير.

وهنا بادر ريس الى مخاطبتها بالقول:

ـ نعم يا اماه، ولكن لا انا ولا زوي نريد حفلة زواج كتلك. فنحن لا تغرنا المظاهر ونريد شيئاً ينم عن مضمون له بقاء دائم وجوهر ثابت.

فظهر العبوس على جبين الوالدة فيونا، ولكنها استعـادت ابتسامتها بسرعة متجاهلة ملاحظة ابنها، ووجهت كلامها الى جانيت قائلة:

ـ ابننا الآخر يدير الشؤون التجارية العائدة الى العائلة الآن. وهو عزاؤنا الوحيد بعد ان هجرنا ريس.

ولم تجب جانيت بشيء، فيما ظهر العبوس على وجه ريس. وبعد قليل تفرق شمل المجتمعين.

وقبل ان يفترقوا، اصرت الوالدة فيونا على زوي ان تأتي في صباح اليوم التالي لتناول القهوة معها. وعبثاً حاولت زوي ان تعتذر، لأن

الوالدة كانت مقتنعة انه من الضروري ان يتعارفا عن كثب.

ودعم ريس موقف والدته بهذا الخصوص. واخذ ريس زوي وجدتها وجدها بسيارته الى البيت، وعند الوصول استبقى زوي ليودعها ويسألها اذا كانت تمتعت بتلك السهرة.

فأجابته بصراحتها المعهودة:

- كان اللقاء اسهل مما توقعت، ولكني اشك في ان نصبح، انا وامك، صديقتين يوماً من الأيام. وعلى كل حال فأنا معجبة بها.

- هذا لا يهم...

- يبدو لي انك بالفعل قطعت الصلة الحميمة بينك وبين والديك.

- نعم، لأن لكل من الفريقين طريقته الخاصة في الحياة.

ولكن لماذا دعاهما الى هنا لمقابلة زوجته العتيدة، اذا كان لا يقيم لهما وزناً في حياته؟

وقالت له:

- ماذا لو اكتشفت امك حقيقة الأمر؟

- هل تعنين ما حدث مساء الاثنين؟

- نعم.

- وكيف لها ان تكتشف ذلك. فاذا سمعت شيئاً عنه، فلا يعدو كونه اشاعة تلوكها الألسن. وعندئذ تفاتحني في الأمر اولاً.

وشعرت زوي انه بدأ يفقد اعصابه لأنها لا تنسى الحادثة كلها. ولكن كيف تنساها في ليلة وضحاها؟

وقالت له:

- ولكنها اذا سألتني عما جرى، فسأخبرها الحقيقة.

- بل الأفضل ان تحيليها الي!

- لا اقدر ان افعل ذلك...

فثارت ثائرة ريس، غير انه كظم غيظه واشار عليها بارجاء هذا الحديث الى فرصة اخرى وقال:

- اما الآن، فالواجب يقضي علي ان اقبل خطيبتي قبلة الوداع

واتمنى لها ليلة هانئة.
وجذبها اليه كالعادة وهو يقول:
ـ سيأتي يوم، يا زوي كير، اريك فيه من هو ريس مكادم!

٨ - ليلة عرس بيضاء

وافق ريس على الفستان الذي لبسته زوي للقاء والدته وتناول القهوة معها، فقال:

- تبدين رائعة الجمال يا زوي.

وقبل ان تدرك ما يفعل، كانت يداه تفكان الزرين او الثلاثة في اعلى صدر فستانها ويقول وهو يتأمل باعجاب عنقها العاجي:

- هذا اجمل واكثر متعة للنظر.

وارتعشت زوي حين لامست اصابعه بشرتها، وخصوصاً حين لمحت في عينيه تلك الزرقة التي تصبح غامقة كلما ثارت عواطفه.

وقالت له بنبرة هادئة:

- انا لا اظن ان امك ستوافق...

فابتسم قائلاً:
- ابي سيقضي ساعات الصباح برفقتي، وهكذا تكونين وحدك تحت رحمتها.
جرى هذا الحوار وهما في طريقهما الى الفندق. وعندما وصلا نزلت زوي ودخلت الى البهو حيث كانت السيدة مكادم في انتظارها.
وفيما هما تتناولان القهوة، قالت لها السيدة مكادم بلطف:
- لا انكر انك تليقين بريس كما ان ريس يليق بك. ومنذ زمان بعيد كنت احلم بعروس مثلك. ولكني مع ذلك اعترف لك انني اشعر بخيبة امل.
وسرت زوي واعجبت بصراحتها وقالت لها:
- وعلى من عقدت الأمل؟
- على اورسولا فندلي. عرفت والديها طوال حياتي. وعاشرها ريس قبل ان ينزح الى هنا، وكنت دائماً اقول لها اذا كنت تريدين اصطياده، فعليك ان تضاعفي اهتمامك بالسفن وما الى ذلك.
وما الى ذلك؟ تساءلت زوي في نفسها وقالت:
- الا تبالي الأنسة فندلي اذا تبللت واتسخت.
- لا، وهي مغرمة بريس، وظنت ان ريس مغرم بها، ولا ادري ماذا جرى بينهما غير اني اميل الى الاعتقاد ان السبب يتعلق بعمله. فهو لا يملك وقتاً كافياً ينفقه عليها، وهو لن يصبح مليونيراً في اي يوم من الأيام.
فسألتها زوي بدهشة:
- وهل ان يكون الانسان مليونيراً امر مهم؟
- نعم، لفتاة مثل اورسولا.
وكان بوسع زوي ان تقدم الف حجة وحجة على ان المال زائل ولا قيمة له، وانما البقاء والقيمة فللحب وما الى ذلك. ولكنها آثرت ان تلزم الصمت وهي تحرك فنجان القهوة.

وسألتها السيدة مكادم:
- اين ستقيمان بعد زواجكما؟ هل ستقيمان في ذلك البيت القبيح الذي كان يملكه اخي الراحل، على رأس الرابية.
ونظرت اليها زوي نظرة حادة واجابت قائلة:
- نعم. فأنا اعتبره بيتاً رائعاً.
- وهذه نقيصة اخرى في اورسولا، فهي تكره ذلك البيت. ولا اقول ذلك لاني الومها. ولو كنت مكانك يا عزيزتي لاصررت على ترميمه ترميماً كاملاً قبل ان اضع قدمي فيه.
وشعرت زوي بالارتياح حين غادر السيد والسيدة مكادم البلدة عائدين الى ادنبره. وكان اسوأ جانب من زيارتهما هو عندما اصطحبت السيدة مكادم اورسولا معها الى المكتب ذات صباح، وهناك اخذت اورسولا تداعب ريس على نحو كاد ان يفجر الدموع من عيني زوي.
ولماذا كان ريس متأكداً ان اورسولا غير مغرمة به؟ فهي لم تخف غيظها من زواجه بفتاة اخرى. واخذت زوي تراقبهما يتضاحكان، فيما رأسه الأسود الشعر ينحني فوق رأس اورسولا الأشد سواداً.
وكانت كارول فينتس تلفنت ذلك الصباح تسأل اذا كان خبر خطوبتهما صحيحاً، ولما ردت عليها زوي بالايجاب، لم تكتم استياءها الشديد وقالت:
- كدت اقع في غرامه... فيا لسوء حظي!
وتعجبت زوي كيف انها لا تجد الشجاعة الكافية لتقول لاورسولا وكارول وسائر صديقاته ان لا نية لها في الزواج به. كان يجب ان يكون الأمر سهلاً، فلماذا تسمح لومضة في عينيه، كلما تأملت في الموضوع، ان تقف عائقاً بينها وبين اعلان تلك النية؟ وحاولت التوصل الى عذر يوفر لها الجرأة، ولكن عبثاً، الى ان جاء ايان غراهام الى نجدتها.
كان ريس غائباً عن المكتب، فدخل ايان الى غرفة زوي واغلق

الباب وقال مبتسماً:
- هل انت وحدك يا عزيزتي؟
ورمقته بنظرة حائرة من دون ان تجيب، فقال:
- الحق معك. هذا سؤال سخيف.
- نعم، وسخيف جداً.
فقهقه ضاحكاً وجلس على طرف طاولتها قائلاً:
- يبدو عليك التصنع حين تقولين مثل هذا الكلام.
- وانت يبدو عليك انك لا تصدق الخبر عني وعن ريس.
- هنالك شائعات واقاويل يا عزيزتي!
- مثلاً؟
فأجابها بهدوء:
- كذا وكيت، كالعادة.
فصاحت به:
- اسمع، انا اكره الذين يحورون ويدورون حول الموضوع.
- سأكون صريحاً معك. هناك من يتساءل عن سبب غيابكما يوم الاثنين الاسبق انت وريس، وعن ذهابه الى ادنبره في اليوم التالي وحول رأسه ضماد. وهذه تساؤلات اود انا نفسي ان اعرف الأجوبة الصحيحة عليها.
فحدقت اليه زوي وقد زال كل لون عن وجهها واصبح باهتاً كالرماد، وقالت:
- اصحيح ما تقول؟ هل كان رأس ريس مضمداً؟ اخبرني ان الجرح الذي اصابه في الزورق كان طفيفاً.
- هل ادهشك ذلك يا حلوتي؟
- كلا. ولكن عليك ان تسأله.
- وماذا عن الشائعات الاخرى؟ يهمني جداً ان اعرف حقيقتها. اولئك الرجال في الميناء لا يخبرونني بشيء.
وشعرت زوي بالارتياح حين رن جرس التلفون في غرفة ريس،

مما اجبر ايان على الخروج من غرفتها. وتساءلت في نفسها هل يا ترى يحفظ اولئك الرجال الى النهاية حقيقة ما جرى بين ريس وجدها تاغرت في شأن الزواج؟

وعندما عاد ريس الى المكتب اصطحبها بسيارته الى بيتها، ولكن لم يكن الا بعد جلوسهما حول مائدة العشاء ان ذكرت له ما دار بينها وبين ايان من حديث، ثم قالت:

ـ اظن انه يعرف شيئاً.

وكان ريس يرتدي بزة زرقاء اللون جعلته يبدو وسيماً حسن الهندام، فسألها قائلاً:

ـ وماذا يحملك على الظن بذلك؟

ـ كلامه اوحى الي بأنه على علم بشيء ما قد يكون اننا قضينا تلك الليلة في مكان ما معاً...

ـ يبدو ان صديقنا ايان يهدر مواهبه الحقيقية. فهو بدلاً من ان يعمل في تجارة السفن، كان عليه ان يعمل في المخابرات!

فلزمت الصمت، فيما تابع كلامه قائلاً:

ـ لا شيء يستدعي القلق... واذا حاول ايان ان يذيع خبراً من هذا النوع، فسيلاقي جزاءه.

ولم تكن زوي واثقة من ذلك. وكان في ذهنها اشياء اهم من ذلك. فقالت:

ـ علمت بذهابك الى ادنبره، ولكني لم اعلم بالضماد حول رأسك. فكيف كان ذلك؟

ولمح الدموع تتساقط من عينيها، فتعجب واكتفى بالقول:

ـ افقت ذلك الصباح اشعر بصداع، فلم ينفعني الاسبيرين. فذهبت الى طبيبي الخاص قبل الذهاب الى ادنبرة، فأشار علي بتصوير رأسي بالأشعة، نظراً للضربة التي بدت آثارها في رأسي. ولم يكن لدي متسع من الوقت، فأعطاني حقنة مسكنة واصر علي ان يضمد رأسي. وعلي ان اعترف بأن ذلك اراحني.

ـ ولكني لم ار الضماد!
ـ نزعته عني بعد عودتي في المساء، وقبل ان افعل دخل علي دونالد ورآه لا يزال حول رأسي.
ـ اليس هذا هو الجنون بعينه؟
ـ دونالد ايضاً من هذا الرأي.
ـ وهل تصورت على الاشعة!
ـ كلا!
فصاحت به غاضبة:
ـ يبدو ان تلك الضربة على رأسك لم تساعد في اعادتك الى طريق الصواب!
ـ وعلى كل حال، لم اعد كما كنت.
ـ وهذا يعزز حجتي، وهي اننا يجب ان لا نتزوج. . . انت يا ريس لا تعي ما تفعل، عليك ان تثق قبل فوات الأوان اني لن اتزوجك!
فأجابها بشيء من البرودة والانكسار:
ـ اعتقد احياناً انه يجب ان افحص رأسي لاني اسمح لك بتعذيبي كما تفعلين. انا بحاجة اليك كزوجة، وان لم تكوني في الحقيقة اهلاً لذلك. واريدك ان تعلمي اني لن اتراجع عن الزواج بك مهما كلف الأمر.
فقالت متحدية:
ـ لن تستطيع ان تسوقني كالنعجة الى الذبح.
ـ هنالك طرق عديدة لذلك!
ـ ولكن بامكاني ان اصرخ عالياً في طلب النجدة.
ـ اذا فعلت، فلن يطول صراخك يا عزيزتي، فبعد ان صرت خطيبتي ووقعت تحت سلطتي فلا يستطيع احد ان يتدخل بيننا.
قال هذا الكلام ونهض عن مائدة الطعام، فنهضت هي الاخرى. وحين خرجا قالت له زوي:

ـ لم نتناول القهوة في نهاية طعامنا.
فأجابها متهكماً وهو يفتح لها باب السيارة:
ـ وهل كنا نريد ذلك؟
وفي الطريق خرج قليلاً من البلدة واوقف السيارة والتفت اليها قائلاً:
ـ اما الآن وقد انتهينا من حل المشكلة الأساسية، فما رأيك ان نذهب الى مكان ما للبحث في امر شهر العسل؟ اقترح ان نذهب الآن الى بيتي ونلقي نظرة عليه في الوقت نفسه. فربما كنت تريدين ان تجري تغييرات عاجلة عليه، لأن التغييرات الجذرية سنتركها الى ما بعد زواجنا.
فأجابته ببرود قائلة:
ـ لا، شكراً.
فهتف بها قائلاً:
ـ زوي، هل انت كئيبة حزينة؟
ـ كلا!
وتساءلت، وهو يرمقها بنظرات الريبة والشك، كيف لها ان تتحمل التفكير في مستقبل تعيشه تحت عينيه الشبيهتين بعيني النسر. فلو كان مغرماً بها لحرصت على ان تعاين بيته من جديد، اما والحالة هذه فلم تشعر بأية رغبة في ان تختلي به هناك. فخلوة كهذه قد تعرضها بسهولة الى فضح عاطفتها الحقيقية نحوه.
وسألها قائلاً:
ـ هل انت متأكدة من رفضك هذا؟
فأجابت قائلة:
ـ البيت رائع الجمال، ولا اظن انني اريد اجراء اي تبديل او تغيير. رأيت غرفة نومك ولا اعتقد ان غرفة نومي ستختلف عنها كثيراً.
واذ رأت حاجبيه يقطبان غيظاً، سارعت الى ارضائه بالقول:

ـ ولا ارى اي نقص في المطبخ. اما غرفة الجلوس، فلم ادخل اليها، ولكني اظن انه لا بد ان يكون فيها مقعدين او ثلاثة. . . وماذا تطلب الفتاة اكثر من ذلك!

فانفرجت اسارير وجهه وقال:

ـ لا اظن انك تقدرين ان ترضيني بمثل هذه السهولة!

فقالت ببراءة:

ـ ولكن يوماً ما سأطلب المزيد.

ـ وكذلك انا. . . يبقى ان نبحث في امر شهر العسل.

ـ شهر العسل؟

ـ نعم، شهل العسل كسائر الذين يتزوجون حديثاً.

ـ صحيح، ولكن امرنا يختلف، الا ترى؟

ـ لماذا يختلف؟

وبعد قليل من الصمت اضاف قائلاً:

ـ فكرت في ان آخذك الى المكسيك. ولهذه المناسبة يمكنني ان اقابل الرجل الذي رفض التعامل مع ايان واظهر رغبته في التعامل معي مباشرة. . .

وقطبت زوي جبينها متسائلة هل يحاول ريس ان يخبرها بأن زواجهما لا يعدو كونه صفقة تجارية؟ فقالت له:

ـ يبدو لي انك تريد اصابة عصفورين بحجر واحد!

ولم يرد على كلامها، بل ادار محرك السيارة وسار بها من فروغ الصبر. وآثر ان يكمل طريقه خارج البلدة، حتى اذا ما اقترب من بيت زوي، اوقف السيارة والتفت اليها قائلاً:

ـ والآن ماذا عن شهر العسل؟ ليس لدينا متسع من الوقت للبت في ذلك.

ووضع يده على ظهر مقعدها وراح يداعب خصائل شعرها، فابتعدت لتتفادى اقتراب اصابعه من عنقها وقالت:

ـ ظننت اننا انتهينا من هذا الموضوع. . . اما قررت الذهاب

الى المكسيك؟
فابتسم قائلاً:
ـ وهل هذا يرضيك يا زوي؟
فتأوهت واجابت قائلة:
ـ لا امانع في اي شيء تقرره يا ريس. . . حتى لو قضينا شهر العسل في البيت ولم نذهب الى اي مكان.
ـ اوافقك على ذلك يا زوي، لو كانت الحال على غير ما هي عليه. فأنت بحاجة الى متسع من الوقت لتتعودي علي.
فهمت ما يعنيه بكلامه، فاحمر خداها واجابت بعفوية ظاهرة:
ـ زواجنا لا يمكن ان يكون زواجاً اعتيادياً. . . فأنت لا تحبني!
ـ كثيرون يتزوجون زواجاً اعتيادياً من دون حب.
ـ لا اعتقد ذلك.
ـ كلامك هذا يدل على احد امرين: اما انك ساذجة الى اقصى حد، واما انك تغرينني لابرهن لك.
ـ لا هذا ولا ذاك.
فاقترب منها قائلاً:
ـ مثل هذا الجواب منك يستدعي اعادتك الى طريق الصواب. . .
وجذبها اليه في غفلة منها وراح يعانقها دون ان يترك لها مجالاً للاحتجاج. وبعد حين لم تتمالك من الاستسلام اليه.
وعندما توقف عن معانقتها، تعلقت نظراتها به، فيما سرت في عروقها قشعريرة هزت كيانها هزاً عنيفاً. واستولى عليها الشوق الى الغرق في لجة عناق لا قرار له، وودت لو تستطيع النفاذ الى سريرته لتعرف بماذا يفكر.
وقال لها متهكماً:
ـ الا يبرهن لك هذا ان الزواج ممكن من دون حب؟
فكان جوابها انها فتحت باب السيارة وركضت نحو البيت، وما

ان وصلته حتى سمعت هدير سيارته وهي تبتعد.
ولم يصر ريس عليها لزيارة بيته ثانية، ولا للاتفاق النهائي على شهر العسل. فكأنه كان اكثر تردداً منها في الاختلاء بها هناك. والى عشية حفلة الزواج بقيت زوي تردد انها لا تريد ان تتزوجه، ولكنه استمر على تجاهل احتجاجاتها.
والواقع انه لم تسنح لها الفرصة الا قليلاً للتحدث اليه على حده، في غضون الاسبوعين اللذين سبقا حفلة الزواج. ذلك انه كان يعمل الى ساعة متأخرة من الليل، فيما انهمكت هي في الاستعداد للحفلة. ولم يكن الا بعد ان اصبح ثوب عرسها جاهزاً ان ادركت تمام الادراك ضرورة القيام بعمل سريع قبل فوات الأوان.
وكان من الصعب عليها الاختلاء بريس في المكتب، لأنه كان في المدة الأخيرة منهمكاً بالعمل مع ايان. ولكن ذات يوم سنحت لها الفرصة، حين خرج ايان من غرفة ريس، فسارعت الى الدخول وهي تصيح:
- يا للسخرية!
واغلقت الباب وراءها ووقفت امام النافذة، فقال:
- لماذا؟ ماذا جرى؟
- لا شيء... سوى صعوبة التحدث اليك على انفراد!
- هذا آخر يوم لك هنا، يا زوي، قبل حفلة الزواج. ولدي امور كثيرة يجب انجازها، ليتسنى لي الغياب عن العمل.
- هذا الجهد... لم يسبق لك ان عانيته من قبل.
- لا، ولا تكاثرت علي المهام كما تكاثرت في هذه الأيام.
ولم تتبصر بمغزى كلامه، بل سارعت الى القول:
- وانا ايضاً تتجاذبني افكار كثيرة...
- وتريدين ان تخففي عنك قليلاً كما اظن! وهل تحسبين اني لا اعرف ماذا سيأتي؟ فدعيني اخبرك بانه، مع ادراكي بأن النصيحة لا تجدي، سأوفر عليك عناء الكلام. سمعت ما تريدين ان تقوليه

مراراً من قبل، وانا غير مستعد ان اسمعه بعد، وهو ان لا رغبة لك في الزواج بي.

فصاحت به:

ـ نعم، لا رغبة لي في الزواج بك!

ـ فات الأوان يا زوي. . . ولا مهرب لك من الزواج بي، فهذا يلحق الضرر بكثير من الناس ولذلك دعي انانيتك جانباً وفكري في سواك من الناس.

ـ انا. . . انا افكر فيك!

ـ وتفكرين في نفسك ايضاً، بالطبع.

وكان ريس على حق. فهي تفكر في نفسها ايضاً وتتساءل كيف سيكون بامكانها ان تواجه الأوجاع التي ستنتابها فيما بعد، حين يسأم ريس من الارتباط الدائم بزوجة لا يحبها. ولكن اذا كان غير مستعد للاصغاء الى صوت العقل، فماذا في وسعها ان تفعل؟

وقالت له:

ـ اكتفي بتنبيهك انك ستندم لعدم سماعك لي. . . والآن سأعمل بمشيئتك.

ـ انت التي ستندمين اذا لم تعملي بمشيئتي.

وفي ساعة الزفاف غصت الكنيسة بالحاضرين. واخترقت زوي الصفوف على الجانبين وهي في طريقها الى الكاهن مستندة الى ذراع جدها. وكان ثوب العرس الناصع البياض يزيدها جمالاً على جمال. وسقطت دمعة على خد جدها تاغرت، حين سحب يده من تحت ذراعها وسلمها الى عريسها. وقبض ريس على ذراعها بقوة، وحين نظرت الى عينيه، فاذا بهما تفيضان حباً وحناناً لا غير.

وبعد الحفلة غادرا الى لندن، ومنها الى مدينة مكسيكو، حيث وصلا اليها في صباح اليوم التالي. وكانت زوي اخذت قسطاً من النوم في الطائرة، ولكنها ظلت تحس بالتعب. وخالجها الشعور بالارتياح حين اخبرها ريس بأن من الأفضل الخلود الى الراحة ذلك

النهار، وبأنه لن يلتقي صديقه رفائيل كاريللو الا في اواخر الاسبوع.

وكان الفندق الذي نزلا فيه فندقاً حديثاً فخماً ومجهزاً بمكيف للهواء وله حوض للسباحة. وكان ريس حجز فيه شقة عليا، مما جعل زوي تعجب لمثل هذا الكرم. وعوضاً عن ان تفرح وتكون شاكرة، فانها لم تتمالك من التفكير بذلك الكوخ في جزيرة سام كوتلر!

وسألها ريس وهي تجول بنظرها في ارجاء الشقة بدهشة:

ـ هل يروق لك هذا المكان؟

ـ رائع... وهو يفوق كل وصف.

ـ اذن، سرك اننا نزلنا فيه!

ـ نعم.

وظهر عليها التردد، فبادرها بالقول:

ـ ولماذا انت مترددة؟

فلم تتمالك من الاجابة بصراحة ساذجة:

ـ لا استطيع نسيان زورقك وجزيرة سام كوتلر!

فقطب جبينه وقال بخشونة:

ـ انت غير مستعدة للقبول بهذا المكان ولا بذاك... وان اقضي معك اسبوعاً لا اهتم فيه الا بك، الأمر الذي لا تستطيعين ان تقدري قيمته...

فعلا الاحمرار وجنتيها وقالت:

ـ لم يخطر لي ذلك ببال.

ـ وماذا خطر ببالك حين فكرت في شهر العسل؟

ـ لم افكر فيه كثيراً.

قالت ذلك وخفضت عينيها لئلا تفضحا حقيقة المشاعر التي تختلج في داخلها. اما ريس، فما كان منه الا ان خاطبها بعصبية قائلا:

- اتريدين ان تعرفي تفكيري في هذا الموضوع؟
فجابهت هذا التحدي بالقول:
- لا يهمني هذا كثيراً.
فاقترب منها واخذها بين ذراعيه بعنف، وعيناه تقدحان شرراً، وشعرت انها لن تستطيع المقاومة ان هو حاول النيل منها فهذا من حقه كزوج لها.
غير ان ريس لم يفعل شيئاً من ذلك، بل افلتها وابتعد عنها قائلاً:
- اترك لك الآن فرصة للتفكير. . . واؤكد لك اني ابذل جهدي لأكون صبوراً، ونحن لم يمض على وصولنا الا قليل من الوقت.
ولم تفهم تماماً ماذا كان يعني بكلامه هذا، ذلك انها كانت تصارع خيبة مريرة لم تجد لها وصفاً او تعريفاً. وحاولت ان تتجاهل هذه الخيبة، غير انها كانت في حال من التوتر الشديد.
ولاحظ ريس تلك الحالة التي تنتابها، فعزاها الى العياء والتعب واصر عليها ان تخلد الى الراحة قبل الغداء.
وقال:
- نحن في مكان مرتفع كثيراً عن سطح البحر، والاعتياد عليه يأخذ بعض الوقت، والزائرون الجدد يجب ان يأخذوا قسطاً من الراحة بعد الظهر، خلال الأيام الأولى من زيارتهم. ولكن بامكانك انت ان ترتاحي الآن، وبعد الغداء نخرج في نزهة اذا شئت.
وكانت الشقة مؤلفة من غرفتي نوم، فقادها ريس الى واحدة منها قائلاً:
- خذي هذه الغرفة، وانا آخذ الغرفة الاخرى.
وظنت زوي ان هذا الترتيب سيدوم الى ان يعتاد احدهما على الآخر. واستطاع ريس ان يقرأ افكارها، فقال:
- خير لك ان تستحمي وتلبسي ثياباً خفيفة، هذا اذا شئت ان تلبسي شيئاً على الاطلاق. . .
فرمقته بنظرة حائرة وهي في طريقها الى الحمام، فتابع

كلامه قائلاً:

ـ لكل منا غرفة نوم . . . ولكن الباب بينهما يبقى غير مقفل. فانا لا احب الباب المقفل بين الزوج وزوجته.

ولماذا يتكلم كأنما بألغاز، تساءلت زوي وهي تضطجع بين شرشفين جميلين باردين. وفي الحال غرقت في نوم عميق.

وبعدما استفاقت متأخرة بعض الشيء، تناولت مع ريس طعام الغداء، ثم خرجا معاً في نزهة داخل المدينة. وكان ريس يعرف الطرق لأنه قام بزيارة المدينة من قبل. وشرح لزوي كيف ان الطرق المتجهة شرقاً وغرباً يدعونها جادات، فيما التي تتجه من الشمال الى الجنوب يدعونها شوارع. اما الطرق الضيقة فتدعى ازقة، وهي تحتفظ بطابعها القديم.

وقال لها وهما في طريقهما بالتاكسي الى ما يقال له «كورنيش الاصلاح» ان هذا الكورنيش لا مثيل له في العالم من حيث الجمال. وهو يبلغ ثمانية اميال طولاً، ويحيط به على الجانبين صفان من الاشجار الباسقة، وتكثر فيه الساحات التي تقوم فيها النصب التذكارية.

ودهشت زوي بما كانت تشاهده في تلك المدينة من عمارات فخمة البنيان، ومناظر خلابة اعادت اليها حيويتها وانعشت روحها. ومع انها عادة لم تكن تحب المدن، الا انها لم تشك في انها ستحب تلك المدينة كثيراً.

وبعد حين غادرا التاكسي وسارا على الاقدام. وكان الطقس في تلك الأمسية معتدلاً، ولكنه في ذلك الفصل من السنة، كما قال لها ريس، يميل الى شيء من البرودة في الليل.

وبالفعل احست عندما خيم الظلام برعشة تسري في جسمها، فدخلا الى احد المطاعم ليتناولا طعام العشاء. وكانت تتضور جوعاً لأن وقت العشاء، عند المكسيكيين، يبدأ متأخراً.

وحول المائدة تحدث ريس بمرح في موضوعات كثيرة متفرقة لا تمت

اليهما شخصياً، ولكنه كان يرمق زوي بنظرات شخصية حميمة، بحيث شعرت بالارتياح حين نهضا عن المائدة للذهاب الى الشقة.

وحين دخلت زوي الى غرفتها، خلعت ملابسها واستحمت مرة ثانية قبل ان ترتدي قميص النوم. وكان ريس استودعها ليلة سعيدة ودخل الى غرفته، ولكن ذلك لم يمنعها من اتخاذ الحيطة، فيما اذا خطر له ان يتفقدها، بأن ترتدي القميص على عجل، فلا يجدها شبه عارية.

ولشد ما كانت دهشتها حين خرجت من الحمام ورأته جالساً في المقعد، قبالة المرآة، وهو يلبس رداء قصيراً. فلما وقعت عيناه عليها قهقه ضاحكاً وقال:

- تبدين في هذا القميص كصبي في جوقة الغناء!

فحدقت اليه باستياء وهي تضم اطراف قميصها، ولكنه بادرها بالقول:

- افضل قميص النوم الذي كانت ترتديه اورسولا ليلة جئنا لقضاء السهرة عندها... اتذكرين؟

فصاحت به:

- الا تستطيع ان تنسى صديقاتك، حتى في ليلة عرسك؟

فزالت الابتسامة عن شفتيه في الحال، وقال:

- قبل ان تبدأي بالانتقاد، اريد ان الفتك الى انني لست في ليلة عرسي، كما اعتاد الناس ان يسموا مثل هذه الليلة!

فاحمرت حياء وادركت انها اخطأت في كلامها، وقالت:

- أنا آسفة...

وودت لو انها تتقدم نحوه وتطوقه بذراعيها وتفصح له عن غرامها الشديد به. وفيما هي في حيرة، نهض للخروج من الغرفة ووجهه متجهم، وقال:

- اعترف بأني كنت امازحك قليلاً، وربما بقساوة... فطابت ليلتك، والى غد.

٩ ـ لا وقت للكلام

ودهشت زوي حين اتصل رافائيل كاريللو بريس في صباح اليوم التالي، قبل ان يغادرا الفندق ، ودعاهما الى تناول طعام العشاء معه ومع زوجته.

وقبل ريس الدعوة وقال لزوي:

ـ ارجو ان تكوني على احسن ما يرام هذه الليلة.

وحين تجهم وجهها تأوه وأضاف قائلا:

ـ لم استطع رفض الدعوة، فالرجل صديق لي وزبون ثري جداً. ولعل هذا اللقاء يكون خبرة لك وفرصة لزيارة بيت مكسيكي ومعرفة كيف يعيش المكسيكيون.

ـ الا تعترض زوجته على استقبال من لا تعرفه؟

- هي اعتادت على ذلك. وستعجبك، فهي امرأة في غاية الجمال.

وكانت السيدة دولوريس كاريللو تعرف ريس جيداً. فقالت له حين التقيا:

- آه يا ريس! اذا كان لا بد لك ان تتزوج، فلماذا تزوجت امرأة صغيرة السن؟

فأجابها ريس وهو يقبلها على خديها:

- هي اكبر مما تظهر.

- أليست في السابعة عشرة لا اكثر؟

وفي هذه الأثناء دعي رفائيل كاريللو الى التلفون، فقالت دولوريس شيئاً لريس بالاسبانية. وأجابها ريس بالاسبانية ايضاً، فاستاءت زوي لهذه العلاقة الحميمة بينهما. فهل كانت ايضاً من حبيباته فيما مضى من الزمن؟

ولم تعد دولوريس تخاطب ريس بالاسبانية، وحاولت ان تعوض عن اهمالها لزوي في البداية، فأعارتها كل اهتمامها طيلة السهرة. وكانت هي وزوجها متقاربين مع ريس في السن، ولم تكن زوي تعرف انهما كانا صديقين حميمين له. وكان الحديث يتخلله مزاح وضحك شملها هي ايضاً، ولذلك سرعان ما نسيت استياءها واعتراضاتها الى حد ما.

وكان بيت كاريللو في منتهى الرونق، ويقع في ضاحية المدينة. وقبل الغداء طافت زوي في ارجائه برفقة مضيفتها، بما في ذلك الجناح الخاص بالأطفال، وكان لآل كاريللو ثلاثة اولاد.

وسألتها دولوريس:

- هل تحبين الأولاد؟

وكان ريس بعيداً عنها، فلم ير وجنتي زوي يعلوهما الاحمرار وهي تجيب:

- نعم، وأود أن يكون لي عدد منهم، خصوصاً لأني ربيت

وحيدة لأبوي.

وابتسمت دولوريس وهي تقول:

ـ عليك، اذن، ان تخبري ريس بذلك. وأنا متأكدة انه لن يبخل عليك بما تطلبين.

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي احرجها كلام دولوريس لها، ولكنها سرعان ما ادركت ان ذلك لم يكن مقصوداً، بقدر ما كان من عادة اهل البلاد. ثم ان الأولاد للمكسيكيين كانوا جزءاً هاماً جداً من الحياة العائلية، بحيث ان الزواج لا يكون كاملاً بدونهم.

وكان السيد كاريللو حلو المعشر كزوجته، ولكن زوي رأت في وجهه امارات التعب والعياء. وحين كانوا حول مائدة العشاء، سرد لها تاريخ المكسيك وأهلها. فأدهشها ان تعلم ان اقل من مليون نسمة كانوا من اصل اسباني قح، فيما كان الباقون اما متحدرين من الهنود الحمر وأما خليطاً منهم ومن الاسبان.

وكانت السهرة ممتعة حقاً. وقبل الوداع دعاهما السيد كاريللو الى نزهة حول المدينة في اليوم التالي. وكان يود أن يدعوهما الى قضاء بضعة ايام معه ومع عائلته على الشاطىء، حيث يملكون منزلاً جميلاً، لولا ان ريس وزوي لم يكونا مضطرين الى العودة بعد وقت قصير.

وكان ريس استأجر سيارة، فعادا بها الى الفندق. ولما دخلا الى شقتهما قالت زوي باستياء:

ـ لدينا بضعة ايام، ومن المؤسف ان نصرفها مع الآخرين!

ثم اخذت تنزع عنها شالها الرقيق وتفك ازرار ثوبها. ولم يكن ريس وضع يده عليها منذ زواجهما، مما جعلها تعتقد انه لن يفعل. وأخذ ريس يطوف في ارجاء الشقة من دون ان يرمقها بنظرة.

ولكنه في آخر الأمر وقف امامها وقال بخشونة:

ـ هل تظنين انه لو كنا نقضي «شهر عسل» طبيعي، لقبلت ان ننفق منه ساعة واحدة مع الآخرين؟

فبادرت الى الرد عليه قائلة:
- لا يهمني ذلك.
ثم التفتت نحوه باغراء، في محاولة لازالة التوتر بينهما، فسقط ثوبها وتكوم عند قدميها. وحارت ماذا تفعل، ولو لم يسندها ريس لكانت تعثرت بالثوب ووقعت على الأرض.
وقال لها مؤنباً:
- انتبهي... الا تدركين ما تفعلين؟
فجمدت في مكانها وهي ترتجف.
- آه! كم انت رائعة الجمال!
وجذبها اليه بعنف، وفيما هو يفعل قالت له:
- ولكني لست اجمل من دولوريس كاريللو!
وأطبق عليها يطوقها بذراعيه ويعانقها بنهم شديد، فلم يكن امامها الا ان استسلمت اليه في نشوة كادت تفقدها الوعي.
ثم راحت يده تداعب شعرها وهو يقول:
- دولوريس لا تغريني كما تغرينني انت!
منذ ان عرفت ريس لسنوات خلت، كانت تثير غضبه وتدفعه الى حافة الانفجار. اما الليلة فالأمر لم يكن كذلك، لأنها اصبحت مغرمة به، والعقاب الذي سينزله بها سيتعدى نطاق القول الغاضب الى الفعل.
ولاح لها الآن، وهي تنظر اليه بصعوبة، ان امارات التردد والحيرة ترتسم بقساوتها على وجهه. فرأت ان تشجعه على الاقدام، فطوقت خصره بذراعيها وأخذت تشده اليها. فما كان منه الا ان حملها واضجعها في الفراش وهو يتمتم قائلاً:
- لا بد من ان يحدث هذا يوماً.
وساد الجو سكون مجنح بألف خاطرة وخاطرة. ثم قال لها وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة:
- لن افزعك.

واندس الى جانبها، فأيقنت ان لا مفر لها الآن من السير معه الى نهاية الطريق.

وقال لها:

ـ كم انت دافئة وناعمة وجميلة يا حبيبتي!

وأمضيا اليوم التالي برفقة السيد كاريللو وزوجته، ثم امضيا اليومين التاليين وحدهما قبل ان يسرعا عائدين الى مكان سكناهما. ولم يغازلها ريس مرة ثانية في غضون تلك الأيام، وعاد الى معاملتها كأنما شيء ما لم يحدث. بل انهما لم يأتيا على ذكره مخافة الاحراج.

ومنحها اليوم الذي امضياه مع آل كاريللو فسحة من الوقت رحبت بها كل الترحيب، لأنها اتاحت لها ان تتأمل وتعيد تجميع افكارها ومشاعرها. وعلى الرغم من انزعاجها من الاهتمام الذي كان يغدقه ريس على دولوريس، فانها وجدت انه من الأسهل عليها ان تكون مع اناس آخرين، كما سرّها ان يكون بينها وبين ريس مسافة عاطفية. وتساءلت ماذا كان يجول في خاطر السيد كاريللو عنهما، حين يراهما يتصرفان، واحدهما تجاه الآخر، كما لو كانا غريبين. غير انها كانت في حال بؤس، بحيث لم تعد تبالي بشيء.

ولم يكن الا في الطائرة حين حدثها ريس عن آل كاريللو، فقال:

ـ درست انا ورفائيل في جامعة واحدة، وهناك تصادقنا، فدعاني الى حفلة زواجه التي جرى الاستعداد لها بعناية. وكان واحدهما مغرم بالآخر ولا يزال. ولسوء الطالع اصيب في السنوات الأخيرة بضعف في القلب، فأشار عليه الأطباء ان لا يسافر مطلقاً. ولكن لأني لم احضر لزيارته منذ بضعة اسابيع، عزم ان يجيء ليجتمع بي في اسكوتلانده. غير ان دولوريس تلفنت الي وأخبرتني ان مجيئه الى هناك يعرض حياته للخطر. ولذلك قررت ان اقوم انا بزيارته في غضون شهر العسل. وحين كلمتني بالاسبانية، فانما لتقول لي انها خائفة على صحة زوجها التي لم يطرأ عليها اي تغيير منذ كلمتني بالتلفون.

وشعرت زوي بالندم على المشاعر التي خالجتها نحودولوريس

واعتذرت لريس على ما بدر منها. وتألمت لحال السيد كاريللو وأدركت ان آلام الناس لا تظهر دائماً للعيان. فلا احد يستطيع ان ينكر أن رفائيل كاريللو كان رجل طيباً حلو المعشر، بل حتى لو لم يكن كذلك، فلا احد يتمنى ان يصاب أحد بمثل ذلك المرض العضال. على انه ساءها ان لا يخبرها ريس بالأمر من قبل، فقالت باحتجاج:

ـ لماذا لم تخبرني من قبل؟

ـ كنت اخبرتك... لو لم تشعري بالغيرة من دولوريس!

ـ وما علاقة غيرتي بالموضوع؟ وهل الغيرة جريمة؟

فأجابها غاضباً:

ـ انها لكذلك، في ما يتعلق بنا. فأنت شعرت بالغيرة لأنك وجدت من يريد الشيء الذي لم تريديه انت!

ـ اذن، الهذا السبب عاقبتني كما فعلت!

ـ وهل تحسبين ذلك عقاباً؟

ـ وماذا احسبه، اذن؟

فأجابها بخبث:

ـ ولكن العقاب شيء لا يتمتع به المعاقب!

ـ ومن قال لك اني تمتعت به؟

فرمقها بنظرة متحدية وأجاب قائلاً:

ـ انسيت كيف استسلمت وتجاوبت معي؟

فامتعضت لكلامه من دون ان تدري لماذا. فهو اعتاد ان يؤدبها. وكونها اصبحت زوجته لا يغير هذه العادة. وعلى كل حال فيجب ان لا يعرف كم هي مغرمة به، لئلا يستغل ذلك كوسيلة اضافية لجرح مشاعرها حينما تفعل ما يزعجه ويثير استياءه.

وقالت له:

ـ أما الآن وقد انتقمت مني، فأرجو ان لا يحدث ذلك مرة اخرى. فلا انت ولا انا تمتع به!

فأجابها بسخرية:

ـ لا تنسي . . . انت زوجتي الآن يا زوي . وكيف لرجل ان يحتفظ بزوجة له، فيما هو يبحث عن متعته مع امرأة اخرى؟

ولم يكن من عادة ريس ان يكون فظاً. صحيح انه كان سريع الغضب متعجرفاً، ولكنه لزم دائماً جانب اللياقة والتهذيب. ولذلك هالها ان يجنح الآن نحو الفظاظة، فبادرته الى القول:

ـ لديك اورسولا. لا تنسى ان والديك يفضلانها علي كزوجة لك . . .

فرد عليها ببرودة قائلاً:

ـ احقاً ما تقولين؟، لدي امرأة الجأ اليها كلما شعرت بالضجر منك!

وحين وصلا الى البيت مساء الجمعة، لم يعد لديهما ما يتحدثان به. وقال لها ريس:

ـ وصولنا اليوم يعطينا فرصة للنظر في شؤوننا والتأهب لبدء العمل يوم الاثنين.

ولم تجد زوي ما تقوله، فأشارت بالموافقة على كلامه، بينما اضاف ريس قائلاً:

ـ وهذا ايضاً يتيح لنا وقتاً للتفكير في الاصلاحات التي يمكن ان تجريها على البيت.

فسارعت الى القول:

ـ لا اريد اجراء اية اصلاحات عليه. اما اخبرتك بذلك؟

فتجاهل ريس اعتراضها وقال:

ـ منذ زمن وأنا افكر في بعض الاصلاحات التي اريد أنا ان اجريها عليه . . . والآن حان وقتها. عندي زوجة، وسيكون لي اولاد في المستقبل باذن الله.

ـ اولاد؟

ـ أأدهشك ذلك؟ وهل كنت تعتقدين اني لا اطمح الى ان يكون لي اولاد؟

- لماذا لا اعتقد ذلك، والأمور فيما بيننا على ما هي عليه؟
فضبط اعصابه وأجابها قائلاً:
- انت تعرفينني منذ زمن بعيد، وتعرفين انني احب الأولاد!
- ولكنك لم تحبني يوماً!
لم تفسحي لي في المجال. . . وكنت اتحمل وجودك في حياتي، على الرغم من المشاكسة التي درجت عليها!
وهنا شعرت زوي انها تقترب من مكان الخطر، فبادرت الى صعود الدرج المؤدي الى الباب الخارجي وهي تلتفت وراءها مذعورة وتقول له:
- مصيبتك، يا ريس مكادم، انك كثير الثرثرة!
فلحق بها على عجل ورفعها عالياً بين ذراعيه، ثم طوقها بذراع واحدة وفتح الباب بالذراع الأخرى. وفي الداخل حملها وهو يقهقه ضاحكاً ويقول:
- سيأتي وقت لا اتكلم فيه ابداً!
وعندما اجلسها بعنف سألته قائلة:
- ماذا جرى؟ ولماذا فعلت ذلك؟
- لفائدة الجيران. . . فالعادة ان يحمل العريس عروسه الى البيت بعد الرجوع من شهر العسل.
- ولكن لا جيران لنا هنا!
- لنا؟ اراك بدأت تتكلمين بصيغة الجمع!
- يا لك من رجل معاند. . .
- مهما يكن رأيك فيّ، فأنا ذاهب لأغلي ابريقاً من الشاي، فلعل الشاي يريح اعصابك!
ومرت بضع دقائق قبل ان تجمع قواها وتعمل كما طلب منها، وما ذلك الا لأنها لم تشأ ان تقف كطفلة حزينة في البهو. فقد يكون من الأفضل لها ان تتظاهر بأن شيئاً ما لم يحدث. وكان ريس في مزاج مرح، قلما عهدته به من قبل، فعزمت ان تلزم جانب الحذر.

وجلست الى طاولة المطبخ تشرب فنجان الشاي وتتطلع اليه. وكانت خصلة من شعرها تتدلى على كتفها، وعيناها غارقتين في اخضرار غامق.

وقالت:

ـ سأصعد الى غرفتي واستحم، ثم انزل الى المطبخ واهيىء طعام الغداء.

فوافقها على ذلك قائلاً وهو يتأملها:

ـ كما تريدين.

ونهضت وعلى وجهها امارات الحيرة والارتياك. وكان اخبرها ان في الثلاجة بعض الأطعمة، وان الماء ساخن. وسألته اذا كان في البيت حليب، فأشار باصبعه الى زجاجة مليئة قرب المغسلة.

وقال لها:

ـ كانت الرحلة طويلة، فلعلها اتعبتك.

ـ اللوم يقع عليك...

ـ علي انا؟

ـ نعم.

ـ ولماذا انت غاضبة؟

ـ لست غاضبة.

ـ ولكنك متوترة الأعصاب قليلاً، كما ارى، فاصعدي الى غرفتك واستحمي، لعل ذلك يريح اعصابك.

فحملت حقيبة يدها وأسرعت نحو الحمام وأقفلت بابه وراءها وملأت الحوض بماء ساخن وجلست فيه. ولم تلبث ان شعرت بالراحة تسري في عروقها، وبغيوم الغد الداكنة تنقشع عن مخيلتها لم يكن من السهل عليها ان تفهم ريس، ومع ذلك فبالامكان ان يتوصلا، فيما بينهما، الى حياة مشتركة هانئة.

ونهضت من الحوض وأخذت تجفف جسمها فتذكرت ان لا ثياب نظيفة لديها، يمكن لها ان تلبسها، ما عدا الثوب الشفاف الذي

اشتراه لها ريس في مدينة مكسيكو. فآثرت ان ترتديه على ان تبقى عارية أو ترتدي ثيابها المتسخة.

وفي الممر، بعد ان خرجت من الحمام، وقفت تتأمل غرف المنزل. كان هنالك غرفة ريس الى جانب غرف اخرى عديدة. فقررت ان تحتل الغرفة الثالثة لأنها لم تكن بعيدة ولا قريبة من غرفته. وبذلك لا يستطيع ان يتهمها بأنها تتدخل في اموزه الخاصة أو تحاول أن تبتعد عنه تماماً. ومشت الى الغرفة الثالثة وفتحتها ونظرت الى داخلها.

كانت غرفة مربعة جميلة، فيها فراش عريض ومنظر خلاب فماذا تريد اكثر من ذلك؟

ووضعت الحقيبة التي في يدها وفتحت الشباك، ثم عادت الى الممر لتجلب شراشف نظيفة من الخزانة التي في آخره.

وفيما هي تفرش الشراشف على السرير، سمعت صوت ريس يسألها حانقاً:

- ماذا تفعلين؟ اتظنين انك ستنامين هنا؟ كلا، ستنامين معي...

وتوقفت عن عملها والتفتت اليه قائلة بعصبية:

- اما كان لكل منا غرفته هناك في الفندق؟

- ولكن هذا البيت ليس فندقاً، ومضى على زواجنا نحو اسبوع، فما صح آنئذ لا يصح الآن...

فاستولى عليها الرعب وحملها على الدفاع عن نفسها بسرعة. فاقترب نحوها، فابتعدت عنه على عجل وكادت تسقط لو لم يسندها بذراعه. وجذبها اليه بشدة حتى التصقت به وأخذت ترتجف بتأثير قربه منها، فتمتمت كمن ابكمته الدهشة لرؤية عالم غريب:

- ارجوك يا ريس! دعنا نتداول هذا الأمر بتعقل.

وعوض ذلك، حملها بين ذراعيه وسار نحو الباب في طريقه الى غرفته، وهناك القاها على السرير وتمدد الى جانبها. وسرعان ما

اخذت ترتجف خائفة.
وحاولت ان تتكلم فنهرها قائلاً:
ـ لا تتكلمي. تكلمنا كثيراً، فلنجرب الآن الفعل!
وفيما هما كذلك، طرق الباب مراراً، فصاح ريس:
ـ اليك عني، كائناً من تكون!
ولكن الطارق استمر في عناده، فكان لا بد لريس من ان ينهض ويلبس ثيابه. وألقى عليها نظرة عاجلة وهو يهم بالخروج قائلاً:
ـ ابقي هنا ولا تتحركي. سأرى من الطارق وأعود في الحال.
وخشيت زوي ان يكون الطارق جدها وجدتها، فتملكها الرعب من ان يعاملهما ريس تحت تأثير الغضب والاستياء معاملة فظة.
وتركت الفراش بصعوبة ووقفت امام النافذة وأخذت تتنشق الهواء العليل وتتطلع الى الطريق. فرأت سيارة صغيرة واقفة هناك، واذا هي سيارة اورسولا فندلي.
ولم تكن غرفة النوم فوق الباب الخارجي، بل كانت مائلة عنه. فمدت رأسها من النافذة قليلاً، فرأت اورسولا وسمعت ضحكتها حين فتح لها ريس الباب. وتساءلت زوي ماذا جاء بها في تلك الساعة وعلى غير ميعاد.
وكان ريس غاضباً حين تركها، فما باله يقهقه ويضحك حين فتح الباب ورأى اورسولا؟
وشق عليها ذلك. ايكون ان ريس اضطر الى الزواج بها هي، فيما هو مغرم بتلك؟ كان دائماً من الصعب عليها ان تقرأ افكاره، ولكن من الواضح انه يحمل في قلبه عاطفة نحو اورسولا، على نحو ما يجعله يتمنى لو كانت هي التي تزوجها.
ولبست زوي ثيابها على مهل، لأنها ادركت ان غيابه عنها سيطول، وتبعته الى الطبقة السفلى. واستولت عليها الحيرة وتاقت الى دفء الغرفة التي كانت فيها مع ريس. وتساءلت كيف سمحت له ان يفعل بها ما فعل؟ وشعرت ان نصفها يريد الاستسلام اليه،

وأما النصف الآخر فيرفض ذلك ويقاومه. ايكون انها تتعلق بالوهم حين تتوقع منه ان يحبها كما هي تحبه؟

ووجدته في المطبخ، حيث كانت اورسولا جالسة كأنها في بيتها. كانت تفتح علبة كبيرة ملأى بالمآكل، فيما اخذ ريس يراقبها باهتمام.

وتطلعت الى زوي وحيتها تحية حارة، وقالت:

- سمعت انكما رجعتما، فجئت اليكما ببعض المآكل كهدية ترحيب بكما. والعمة فيونا خامرها الشك في انكما تفطنان الى شراء ما يلزمكما من الطعام.

فأجابتها زوي، متجاهلة نظرة ريس العابسة اليها:

- شكراً، عندنا ما يكفي... وكان بامكاننا ان نخرج ونتناول الطعام في مطعم.

وقال ريس ليخفف من كلام زوي الخالي من اللياقة:

- هذا لطف منك يا اورسولا... ونشكرك على اهتمامك بنا.

وسارعت زوي الى القول، وقد ادركت خطأها:

- ليتك تبقين معنا لتشاركينا طعام العشاء.

فرحبت اورسولا بالفكرة، وقال لها ريس:

- زوي تقدر ان تهيىء طعام العشاء بنفسها، فيما نحن نتناول الشراب في غرفة الجلوس.

وهذا ما جرى، فانصرفت زوي نحو ساعة كاملة تهيىء الطعام في المطبخ، بينما ريس واورسولا في غرفة الجلوس يتجاذبان اطراف الحديث. وسمعتهما في هذه الأثناء يطوفان في ارجاء المنزل، ثم يخرجان معاً الى الحديقة. وكان ريس يشرح لأورسولا ما ينوي ان يقوم به من اصلاحات على المنزل.

وامتعضت زوي لهذا كله، حتى انها فكرت جدياً بالطلاق.

١٠- لجة الحب العميقة

وبقيت اورسولا في زيارة ريس وزوي الى وقت متأخر، الى ان لم يبق لدى أحد منهم ما يقوله، وأصبحت الموسيقى التي كان ريس يختارها أشبه بالأنغام الجنائزية منها بأنغام الطرب والغناء. وحين ودعتهما اورسولا وانصرفت، عادت زوي الى غرفة النوم التي كانت شرعت بتهيئتها. ولم يحاول ريس ان يقنعها هذه المرة بالنوم معه في غرفة واحدة، بل دخل غرفته وأغلق الباب بعصبية، مما حمل زوي على الاعتقاد انه وضع حداً لكل آمالها في المستقبل.

وفي صباح اليوم التالي، رن جرس التلفون فيما زوي تنزل الى الطبقة الأولى، فخرج ريس من المطبخ ليجيب عليه وهو يتذمر من أن لا يكون في الامكان الاعتزال عن أي شيء وعن أي انسان.

واتجهت زوي الى المطبخ فوجدت القهوة جاهزة، والبيض في مقلاة على النار. وعندما عاد ريس اعتذرت عن تأخرها، فأجابها بجفاف:

ـ هيأت طعام العشاء أمس، فمن الانصاف ان أهيىء أنا طعام الفطور اليوم.

وجلس الى المائدة دون أن يرمقها بنظرة ثانية، وأخبرها ان ايان هو الذي تحدث اليه بالتلفون ليقول ان هناك بعض المشاكل في الميناء، وعليه ان يذهب اليه حالما ينتهي من تناول طعام الفطور.

وسكبت زوي قهوة في فنجانه وأخذت تنظر اليه باهتمام وهو يأكل طعامه. ثم قالت له:

ـ هل تطول غيبتك؟ وهل تريدني ان أذهب معك؟

فأجابها باختصار:

ـ كلا! وقد يطول غيابي عدة ساعات.

وعندما لمح الحزن والأسى في عينيها، أضاف قائلا:

ـ لم تكون عودتنا الى البيت من شهر العسل مفرحة وموفقة بالنسبة اليك... هنالك زيارة اورسولا لنا ليلة أمس، وحدوث مشاكل في الميناء هذا الصباح!

فشعرت انه يحاول الآن ان يلاطفها. فليلة امس، بعدما غادرتهما اورسولا، لم يخاطبها بكلمة.

ورأت ان تلاقيه الى منتصف الطريق، فقالت له:

ـ تجري الرياح أحياناً بما لا تشتهي السفن... ولكن لدينا ما تبقى من عطلة نهاية الاسبوع.

فسارع الى القول وهو ينهض وينظر الى ساعة يده:

ـ آه، تذكرت الآن ان والدي اورسولا دعوانا الى سهرة في بيتهما الليلة، ووعدتهما اننا سنحضر، لأنني لا أظن ان لدينا ما نفعله.

فاستولت عليها الدهشة وصاحت به:

ـ هل أنت متأكد ان هذه الدعوة ليست مزيفة كالدعوة السابقة؟

ـ تأكدت من ذلك!
وراقبته وهو يجمع أشياءه استعداداً للذهاب، وقبل ان يودعها التفت اليها قائلا:
ـ هل تشكين من شيء؟
ـ نعم... لماذا؟
ـ لا يبدو لي انك على ما يرام... هل تجدين الزواج بي مزعجاً الى هذا الحد؟
فهزت رأسها حتى كادت خصل شعرها تغطي وجهها.
وتابع قائلا:
ـ انت بحاجة الى قليل من الهواء العليل بعد رحلة امس... فلماذا لا تخرجين في نزهة؟
فأجابت بنزق قائلة:
ـ لست بحاجة الى الهواء العليل... واذا كان هذا ما تظنه، فلماذا وعدت بحضور سهرة اورسولا؟
ـ انت لست مضطرة الى حضورها!
فقالت غير مصدقة كلامه:
ـ أتذهب وحدك من دوني؟
ـ وهل تمانعين؟
فرفعت رأسها لتحدق اليه وقالت:
ـ أنت مغرم بها، أليس هذا صحيحاً؟
فانتفض ريس كمن أصيب برصاصة. وهنا رن جرس التلفون مرة ثانية. وتبعته زوي الى جهاز التلفون في مكتبه، فلاحظت ان يده ترتجف وهو يمسك السماعة. ولم يسمع صوتاً على الطرف الآخر من الخط، ربما لأن الرنين كان لتذكيره بالمهمة التي دعي الى القيام بها في الميناء.
وقال لها ووجهه متجهم وصوته أجش:
ـ لا أستطيع ان أحدثك الآن يا زوي... ولكن يجب ان تعلمي

امراً مهماً جداً، وهو من الأهمية بحيث لا يقال على عجل. فايان غراهام ينتظر حضوري بفارغ الصبر.

فتمتمت قائلة والدموع تتساقط من عينيها:

- نعم...

ثم نادته وهو ينزل الدرج قائلة:

- ريس... اذا كنت لا تحتاجني في المكتب، فهل تمانع اذا ذهبت لزيارة جدي وجدتي؟

فتوقف والتفت اليها قائلا:

- اذا كنت على استعداد للذهاب الآن، فيسرني ان أنقلك الى هناك.

- لا، شكراً. الوقت مبكر، وأفضل ان أذهب سيراً على قدمي.

ولكن ما ان غادرها حتى شعرت بالحاجة الى الخروج من المكتب، لأنها اذا لم تفعل، ستبكي، وستحمر عيناها فيعرف ريس بأنها كانت تبكي. وتساءلت ما هو ذلك الأمر المهم الذي سيحدثها به؟ هل هو الطلاق منها؟ لا، لا يمكن ان يكون فظاً الى هذا الحد، وهما بعد في أول الطريق. سينتظر بعض الوقت، ثم يطلقها ليتزوج اورسولا. وما العيب في ذلك. فالطلاق ليس عيباً ولا يضير بسمعتها، بل كان يضر بها أكثر لو انه لم يتزوجها بعد ما شاع انهما قضيا الليلة وحيدين في الكوخ على الجزيرة!

ذلك ما جال في خاطرها وهي تغسل الصحون وترتب المطبخ. فيما هي تفعل ذلك لاحظت ان ريس لم يتناول من فطوره الا قليلا، لعله فقد شهيته لانشغال باله بما يجري في الميناء من مشاكل. فما هي هذه المشاكل؟

وانشغل بالها هي الأخرى وتاقت الى ان تعلم بما جرى. وتساءلت اذا كان جدها على علم بذلك. فما كان منها الا ان خرجت من البيت من دون ان تفكر في الصعود الى الغرفة لجلب معطفها.

ودهش تاغرت وزوجته جانيت لرؤيتها، وخصوصاً وحدها.
وقالت جانيت وهي تقبلها بحرارة:
- لم نكن نتوقع مجيئك... أين ريس؟
وفيما هي تخبرها بالأمر، أخذت تنعم النظر الى جدها... وبعدما انتهت من كلامها خاطبها قائلا:
- نزلت الى الميناء مرة واحدة اثناء غيابكما... فأنا لم أشأ ان يعتقد زوجك اني أتجسس عليه حالما أدار ظهره. كل ما سمعت هو شائعة او شائعتان، وأنت تعلمين كيف تنتقل الشائعات وتتضخم. ولكني أظن ان هنالك بعض المشاكل، وهي نتيجة تدخل خارجي اكثر مما هي نتيجة أي شيء آخر. هذا كل ما أريد ان أقوله.
واصفرّ وجه زوي وهي تقول لجدها:
- وهل ريس في خطر؟
- كلا! وما من شيء يعجز ريس عن معالجته... واذا كنت غير واثقة من ذلك، فما عليك الا ان تتذكري ما حدث أخيراً...
وبدا لها ان ذلك كل ما تستطيع ان تعلمه من جدها، ولذلك لم تلح عليه في طلب المزيد. غير ان بالها لم يهدأ، فبقيت نحو ساعة مع جدتها وجدها، شربت فيها فنجاناً من الشاي، ثم عزمت على العودة الى البيت بعد ان تغلبت على رغبتها في الذهاب الى الميناء لتشاهد بنفسها ما يجري هناك.
وتزايدت برودة الطقس ذلك الصباح، وخصوصاً على الشاطىء حيث كانت تتمشى في طريقها الى البيت. وفيما هي تتأمل في البحر العاصف والسفن التي بدأت تبحر، أقبلت عليها اورسولا فجأة وهي تنادي:
- صباح الخير يا زوي... يسرني ان ألقاك هنا.
فارتبكت زوي وثار ثائرها. وما كان منها الا ان أجابتها بعنف:
- لماذا لا تقولين الحقيقة ولو مرة واحدة؟ انا لا أعتقد انك حقاً تسرّين بلقائي.

وأدركت اورسولا ان الوقت حان للتحدث اليها بصراحة، فأجابتها قائلة:

ـ الحق معك... لماذا يسرني لقاؤك؟ فأنت دائماً كنت تلعبين دور المشاغب الحقير! فلولاك كنت زوجة ريس منذ زمن بعيد... أنا أمقتك، ولأجله أتودد اليك، لا لأي شيء آخر...

فحدقت اليها زوي وقالت:

ـ أنا آسفة...

ـ من واجبك ان تأسفي... تمكنت من اقناع ريس بأن يتزوجك، وهو أمر كان عليه ان يفعله... ولكنه الآن سيطلقك، ويجب ان تتأكدي من ذلك. وحين يتزوجني سأبذل كل جهد لأقطع كل علاقة له بك... وأنصحك منذ الآن ان تبحثي لنفسك عن عمل آخر...

وصدمها ذلك وان كانت لم تفاجأ به. فما تقوله اورسولا هو الذي كان يجول في خاطرها. وخارت قواها واسودّت الدنيا في عينيها. وفيما هي كذلك، اذا بصوت يناديها:

ـ زوي!

والتفتت الى مصدر الصوت، فاذا فردي فينتس في زورق بخاري قرب الشاطىء. وتابع قائلا لها:

ـ تعالي نبحر في نزهة، اذا لم يكن لديك ما تفعلين!

وأرادت، لأول وهلة، ان ترفض. ولكنها بعد قليل من التفكير رأت ان تقبل دعوته. ولماذا لا؟ فمن الأفضل لريس ان يعلم ان هناك من يعجب بها، وهكذا يريح ضميره اذا هو وضع حداً لزواجه بها.

وفيما هي مترددة، ألقت اورسولا يدها على ذراعها كما لو كانتا صديقتين حميمتين، وخاطبت فردي فينتس قائلة:

ـ وماذا يا ترى يكون موقف ريس حين يسمع انك هربت بعروسه؟

فضحك فردي وهو يقول:

ـ وهل ستخبرينه؟
ـ قد أخبره. . .
ونظرت الى زوي، ثم تابعت كلامها قائلة لها:
ـ هل أنت خائفة؟
فتمالكت نفسها وأجابت بحزم:
ـ يمكنك ان تخبريه ما تشائين!
وسمعت فردي يردد بسخرية قول اورسولا:
ـ نعم. . . هل انت خائفة؟
وتساءلت زوي لماذا يتحداها ويدعوها لمرافقته بهذا الاصرار. ولكن كلام اورسولا الذي حطم قلبها كان سبباً دفعها الى القول:
ـ ولماذا أخاف؟
ونزلت مسرعة الى الشاطىء حيث يقف الزورق. ومد لها فردي يده لمساعدتها على الصعود، ثم أقلع بها في عباب البحر.
وكان الزورق ذا محرك قوي جداً. ولم تمض بضع دقائق حتى أدركت ان فردي أعجز من أن يستطيع السيطرة عليه، فقالت له:
ـ هل هذا الزورق لك؟
ـ نعم. أرسله الي والدي، بعد ان أعياني انتظار زوجك ليصنع لي واحداً كما وعد.
وكان بوسع زوي ان تشرح له ان ذلك يأخذ وقتاً طويلاً، وانه يحتاج الى هذا الوقت ليتمرس بقيادة الزورق، خصوصاً لأنه رجل طائش لا يبالي بالمخاطر. ولكنها لم تشأ ان تفعل ذلك، لا من أجل سلامته، ولا خوفاً على حياتها التي أصبحت الآن لا قيمة لها نظرها، بعد الذي جرى لها.
غير انها لم تستطع السكوت طويلا ازاء جهله مبادىء القيادة، فقالت له وهي تتمنى لو انه يسمح لها بأن تتولى القيادة بنفسها:
ـ لا تضيق عليه الخناق هكذا بشدة. . . فقد ينقلب رأساً على عقب!

فصاح بها:
- ما عليك، يا عزيزتي. نحن لا نزال في أول الرحلة... انتظري لتري ماذا يمكن لهذا الزورق ان يفعل!
وسرعان ما أدركت انها أخطأت في قبولها دعوته لمرافقته، فقالت له بحزم:
- أرجوك... أريد أن أعود الى الشاطىء. غيّرت فكري!
- اذا غيّرت فكرك يا عزيزتي، فأنا لم أغير فكري! تسرني جداً رفقتك، وأنا أريدك ولو صرت الآن متزوجة!
فظهر العبوس على وجه زوي وهي تقول:
- ألا يهمك ان أكون متزوجة؟
- ولكنك تزوجت منذ أيام؟
- وما الفرق في ذلك؟
- الفرق هو ان المتزوجين حديثاً يكونون في حال شديدة من الحب والغرام!
فحدقت اليه بعينين واسعتين من شدة الذعر، وخصوصاً حين لاحظت ان وجهه تجهم فجأة واتجه بالزورق نحو عرض البحر. ولفرط ما كان مسرعاً، تلاطمت حولهما الأمواج ورشقتهما بوابل منها. وأدركت زوي، لخبرتها في قيادة الزوارق، أن الخطر على حياتهما أصبح مداهماً، فصاحت به قائلة:
- اخبرني، لماذا تفعل ما أنت فاعل؟
- الانتقام! لا أحد ينظر الي باحتقار كما ينظر زوجك، خصوصاً هذا الصباح، أمام زمرة من الرجال. وسيكون محظوظاً اذا عدت اليه سالمة بعد هذه الرحلة!
ولم تستطع ان تصدق ما سمعته أذناها. فهي لم تكن تعرفه جيداً، الا انها حسبت انه لم يكن شريراً ولا يؤذي أحداً. اما الآن، فرأت الشر في عينيه، وروح الانتقام بادية على وجهه.
وقال لها:

- انتظري حتى تخبره الآنسة فندلي بأنك معي، فترين العجب العجاب. سيلحق بنا ولا شك، غير انه لن يأخذك مني، بل سأجعلك طعماً للأسماك، اذا هو لم يركع على ركبتيه معتذراً لي عما بدر منه!

- وماذا يجعلك تعتقد انه سيلحق بنا؟

- كل الناس يعلمون انه يموت في حبك!

- أنت على خطأ!

- أنت التي على خطأ. واذا كنت لا تصدقيني، فانظري وراءك الآن!

والتفتت الى الوراء، فشاهدت ريس مقبلا نحوهما ويرفقته ايان. فاستولى عليها الخوف من نتائج المجابهة التي ستقع.

وفجأة شعرت بيد فردي تقبض على ذراعها، فيما كانت سفينة شحن ضخمة تتجه نحوهما وتصبح في طريق سيرهما.

وصاح فردي:

- آه، يا الهي!

ولكنهما استطاعا ان يتجنبا الاصطدام بها في ما يشبه المعجزة. ذلك ان زوي، في اللحظة الأخيرة، دفعت فردي جانباً وقبضت على مقود الزورق واستدارت به كما علمها ريس. وما ان مرت السفينة عنهما بسلام، حتى التفتت الى فردي وصاحت به قائلة:

- يا لك من أحمق! قل لي، ماذا كنت تحاول ان تفعل؟

- كنت أحاول الانتقام، كما قلت لك. ولكن ليس بهذه الطريقة... فأنا لم أر هذه السفينة الملعونة الا حين أطبقت علينا.

وانتزع المقود منها واتجه بالزورق نحو الشاطىء وهو يقول:

- يكفي هذا لكي أعلم زوجك درساً... فلا بد انه أصيب بهزة عنيفة تذكره بأن لا يتهجم عليّ في المستقبل!

وفي هذه الأثناء لحق ريس بالزورق وسار بازائه. وحاولت زوي النظر اليه ولكنها لم تستطع لشدة انفعالها مما حدث. فمن حقه ان

يعتقد انها تصرفت تصرفاً احمق لا يوصف، ولا تكفي الضربة التي وقعت على رأسها عقاباً لها على هذا التصرف.

وكان وجهها ينزف دماً من الجرح الذي أصابها في جبينها حين اصطدمت بحبل السارية وهي تميل بعنف لتتجنب السفينة. وعبثاً حاولت مسح الدم عن وجهها، فبدت في حالة تثير القلق. ولكنها لم تعان من ذلك بقدر ما كانت تعاني من الرجفة التي سيطرت عليها وأرسلت الوهن في مفاصلها.

وعجبت كيف استطاع فردي ان يدخل الميناء بشجاعة فائقة، متجاهلا الشاطىء الذي يقع على مسافة أبعد. غير انه كان يصطدم بالرصيف لو لم يكن ريس قريباً منه، بحيث استطاع ايان ان يلقي على الزورق حبلا ويوقف اندفاعه.

ونظر ريس الى زوي نظرة يتطاير شرر الغيظ منها، ثم حملها بذراعيه وناولها الى دونالد قائلا:

- احملها عني يا دونالد... ارجوك.

وقفز يتبعهما نزولا الى الشاطىء، حيث وقف أمام فردي فينتس. وبادره فردي بالقول مبتسماً بشماتة:

- أرجعت لك زوجتك يا مكادم... ويؤسفني انها لا تبدو حسناء كعادتها. ولذلك فضلت ان آتي بها الى هنا حتى لا يشاهدها أهل المدينة...

ولم يكد ينهي كلامه حتى عاجله ريس بلكمة على فكه أوقعته أرضاً. وسمعت زوي صوت وقوعه ففتحت عينيها ورأت فردي في الماء يحاول الخروج والدم ينزف من ذقنه، فيما وقف ريس يراقبه بغيظ شديد وهو يصيح قائلا:

- من يتجرأ على مساعدة هذا الحقير للخروج من هنا، سيلقى المصير ذاته!

وحين تمكن فردي من التعلق بالوتد القائم على الشاطىء والتسلق صعداً، أخذ ريس يلكمه ويعيده الى الماء من جديد.

واستجمعت زوي قواها فجأة امام هذا المشهد، وحاولت الافلات من بين يدي دونالد بعنف وهي تصرخ:
ـ كفاك يا ريس!
ولما لم يسمع لها التفتت الى الرجال الواقفين هناك وصاحت بهم:
ـ يجب ان تفعلوا شيئاً والا قتله!
فصاح بها ريس:
ـ ليتني أقتله. . . ولكني لا أريد. يكفيه الآن هذا العقاب.
وزحف فردي من الماء وانحنى على ركبتيه، ثم وقع على وجهه.
وقال ريس بلهجة لا تخلو من شهوة الانتقام:
ـ لن تنسى هذا في حياتك!
وكان الظلام بدأ يخيم. وشعرت زوي بالخوار أمام شراسة الانسان نحو أخيه الانسان، فانعقد لسانها ولم تستطع الكلام، خصوصاً حين صرف الحاضرون انتباههم عن فردي فينتس وركزوه عليها.
وسار ريس نحوها قائلا:
ـ تعالي يا زوي!
وكان وجهه لا يزال مكفهراً، ولكن لهجته تميزت بشيء من الرقة والعطف.
وتعلقت به زوي، فحملها الى السيارة. وفي الطريق أزاحت خصل الشعر عن وجهها. وحاولت ان تتمالك نفسها، ثم قالت له:
ـ أنا آسفة يا ريس. ليت هذا كله لم يحدث، وليتك لم تعاقبه هكذا!
وزم ريس شفتيه وأجابها قائلا:
ـ هو يستحق هذا العقاب. . . لا تتكلمي الآن. أصبت بهزة وأنت تتوجعين. . .
وكادت ان تشهق بالبكاء، ولكنها لم تجد بدأ من الكلام، فقالت:
ـ المشكلة التي ذهبت لأجلها. . . هل انتهت على خير؟

ـ انتهت قبل ذهابك مع فردي فينتس . . . ولو سمعت نصيحتي وذهبت رأساً الى بيت جدك لما حدث لك ما حدث .

ـ وكيف عرفت اين نحن، حتى لحقت بنا في مثل تلك السرعة؟

ـ اورسولا تلفنت من الميناء وأخبرتني بذهابك . . . وكنت شاهدت فردي يمر قبل ان أرد على التلفون، ولكنني لم أتبين انك برفقته .

ـ آه، كيف لي ان أنسى تلك السفينة ونجاتنا من الاصطدام بها بأعجوبة . . .

ـ حاولي أن لا تتذكري هذا الأمر .

وكانت السيارة وصلت الى أمام البيت، فنزل ريس منها وأخذ يساعد زوي على النزول . ثم حملها بين ذراعيه وصعد بها الى غرفته وألقاها على السرير قائلا :

ـ لا تتحركي . . . سأهيىء لك الماء الساخن لتستحمي وتسترجعي قواك قبل ان نتحدث .

ـ يداك داميتان يا ريس!

وكان ذلك أول مرة رأت فيه الدم ينزف من مفاصل أصابعه . فأشار عليها ان لا تقلق، ثم عبر الممر الى الحمام وأجرى الماء الساخن في الحوض . وبعد ذلك عاد اليها وساعدها في نزع ثيابها . وحين غطست في الماء الساخن المريح، بقي ذهنها مشتتاً في كل اتجاه، حتى انها لم تدرك تماماً ماذا كان ريس يفعل .

وقال لها :

ـ سأنزل الى المطبخ وأغلي لك شراباً ساخناً . . . ولن تطول غيبتي .

وعلى الرغم مما شعرت به من اطمئنان وراحة في الماء، فانه صعب عليها ان تبقى هناك لكثرة ما كانت الأفكار تزدحم في ذهنها . نعم، كان ريس قلقاً عليها، ولكن هذا لا يعكس بالضرورة غرامه لها . فقد يكون انه يحيطها بالعناية ويشجعها ويقويها لتستطيع ان تتحمل

ما وعد انه سيحدثها به فالرجال تحرجهم دموع المرأة اذا أيقنوا انهم هم سببها.

وخرجت من الماء والتفت بمنشفة كبيرة قبل ان يعود.

عندما عاد اكتفى بالقول لها ممتعضاً:

ـ ما بالك أسرعت!

وقادها بذراعها الى غرفته وأجلسها على حافة السرير، ثم سكب لها فنجاناً من الشاي. وقالت له:

ـ هذا ليس الوقت المناسب للاستحمام...

ـ صحيح، ولكن جسمك كان ينضح بماء البحر المالح ويرتعش من برودته.

وساد الصمت قليلا، فيما زوي تشرب الشاي. ثم قال لها ريس:

ـ دعيني أنظر الى وجهك... يبدو لي ان الجرح يحتاج الى بعض العناية.

ـ انه جرح بسيط... مجرد خدش فوق حاجبي.

فاصرّ ريس على ان يتفحصه ويضمده وقال:

ـ حين أصبت بجرح في رأسي أقمت الدنيا وأقعدتها قلقاً عليّ...

وأذعنت للأمر، فأخذ يتفحصه وهو جالس الى جانبها، قبل ان يعالجه ويضمده. وعجبت كيف انهما كانا جالسين يتحدثان كغريبين، لا أثر لعاطفة حميمة تجمع بينهما.

وقال لها:

ـ الجرح بسيط كما ذكرت، ولكنه لا بد ان يكون موجعاً!

ـ بعض الشيء... وهذا الشاي كاف لتخفيفه.

وفوجئت حين رأته يضع يده على كتفيها وينعم النظر الى وجهها قائلا:

ـ كنت تبكين في الحمام يا زوي... أبصرتك من شق الباب. فما

بك؟ وماذا تشكين؟

وهزت رأسها دون ان تجيب. فتابع كلامه قائلا:

- ماذا أخبرتك اورسولا حتى جعلتك تذهبين مع شاب أحمق كفردي فينتس؟ هل هو خطير الى هذا الحد؟

- لا شيء...

- زوي!

فنظرت اليه بيأس، لأنها أدركت انه لم يكن لها مهرب من اخباره بما جرى بينها وبين اورسولا.

فقالت بتردد:

- لم تخبرني بشيء أجهله، ولذلك يجب ان لا تغضب عليها... أخبرتني انك ستطلقني وتتزوجها، وانها تعلم انك كنت مضطراً للزواج بي. وحين ناداني فردي ودعاني لمرافقته، قبلت الدعوة لأن لا شيء أصبح له قيمة في نظري، بعد الذي سمعته.

- وهل صدقتها؟

- وكيف لا أصدقها وهي تقول الحقيقة؟ فأنت لم تكن تريد يوماً ان تتزوجني. ولكنك رأيت من الواجب ان تفعل بعد قضائنا تلك الليلة معاً في الجزيرة. وفضلا عن هذا كله فأنت لم تصرح لي يوماً بأنك تحبني.

وشدها ريس اليه برفق وهو يقول:

- آه يا زوي، يا حبيبتي! ألم تدركي اني أحببتك وأغرمت بك منذ سنين؟

ولم تصدق ما سمعته أذناها، فصاحت قائلة:

- لا... لا أصدق... لا أستطيع ان أصدق!

- يبدو لي انك الوحيدة التي لا تستطيعين ان تصدقي.

- ولماذا، اذن، لم تخبرني؟ فأنا أحبك حباً لا حياة لي بدونه...

فانحنى عليها ريس وأخذ يعانقها عناق العاشق الولهان، وتمتم في أذنها قائلا:

ـ أحبك. . . وأريدك. . . آه لو تعلمين الى أي حد!
وشعرت زوي بأن أوان المصارحة حان، وانه سيفتح لها قلبه على مصراعيه. وقال لها:
ـ دعينا نتحدث يا زوي. لي ما أقوله لك!
ـ لا شيء يهمني بعد ان صرحت لي بأنك تحبني.
ـ لا هناك ما أهم. . . اسمعي! كنت أنت في السابعة عشرة حين شعرت ان العاطفة العابرة التي كنت أحملها نحوك بدأت تتبدل، واني بحاجة ماسة الى ان أعرفك وتعرفيني جيداً، وعندئذ ذهبت الى جدك وأخبرته بما أشعر به نحوك، وطلبت منه السماح لي بأن أخرج بك للسهر بين الحين والحين.
فاتسعت حدقتا عينيها حيرة وقالت:
ـ أصحيح؟ لم يخطر ذلك لي ببال!
ـ نعم. ولكن حين أخبرت جدك بأني أفكر في الزواج بك، أجاب انك لا تزالين صغيرة السن بعد، وطلب مني ان أنتظر الى ان تبلغي العشرين من العمر. كان يحسب حساباً لفارق السن بيننا، ولحرمانك اذا تزوجت باكراً من فرصة معاشرة الذين يجايلونك من الشبان.
فتجهم وجه زوي وقالت:
ـ وأنت قبلت بذلك!
ـ نعم، لأني اقتنعت بصواب رأيه، مع العلم بصعوبة تطبيقه وأنت دائماً معي. ولهذا رفضت ان أتخذك سكرتيرة لي، ولكن حين قبلت حاولت ان أخرج مع فتيات أخريات لأحمي نفسي منك وأستعين بذلك على الانتظار. . .
ـ وهكذا تركتني أتعذب من شدة الغيرة. . .
ـ أنا آسف، ولكن جدك كان دائماً يلح عليّ بالانتظار. اما بعد ان بلغت التاسعة عشرة، فاني رفضت ان استمع اليه.
ـ كنت أظن، طول الوقت، انك تتسلى بي. . . وأنا لم أدرك اني

مغرمة بك الى ان وقعت حادثة الزورق.

فعانقها ريس وهو يقول:

ـ وأنا أيضاً... كدت أجعلك لي هناك في كوخ سام كوتلر. والمفارقة هي انني لم أرد ان أفعل شيئاً يجعلك مضطرة للزواج بي... ولا تستطيعين ان تتصوري الجهد الذي بذلته لأكبح جماحي...

ـ ولكن عندما رجعنا، أجبرك جدي على...

فقاطعها ريس قائلا:

ـ كلا، لم يجبرني على شيء. كان يعتقد اني عصيت مشيئته، مع اني أخبرته قبل ذلك اني لم أعد قادراً على الانتظار الى ان تبلغي العشرين من العمر كما وعدته. ومهما يكن من أمر، فانا سعيد الآن اني اغتنمت تلك الفرصة تحقيقاً لما أرغب، وهو الزواج، على الرغم مما لحقك من سوء السمعة ولو الى حين.

فهتفت قائلة:

ـ ظننت انك نقمت عليّ لاعتقادك اني أوقعتك في شباكي... وحرت ماذا أفكر حين أسرعت في الذهاب الى ادنبره في اليوم التالي.

ـ كان عليّ ان أتأكد من موقفك نحوي، فرأيت ان أفضل وسيلة هي ان أقابل والدي وأذيع خبر خطوبتنا... وأنا آسف يا حبيبتي اذا كنت بعملي هذا أزعجتك أو أسأت اليك.

ـ وددت لو انك لم تتصرف ذلك التصرف، وكأن الأمر لا يعنيك الا انت وحدك.

ـ الحق معك...

ـ وكذلك لم أستطع ان أفهم لماذا تصرفت بتلك السرعة، رغم انك مغرم بأورسولا.

فأجابها بحزم:

ـ كلا. لم أقع في غرامها، ولا في غرام أحد سواك. وما أخبرتك به عن الطلاق هو اختلاق فاضح، ولا أظن ان أحداً يصدق اتهاماتها. واذا كنت خرجت معها للسهرة أحياناً، فلأني كنت أحاول ان أثير

غيرتك، كما أثرت غيرتي بمغازلتك لايان غراهام وفردي فينتس.
ـ اعتذر لك بشأن فردي، ولكني لا أزال أعتقد انك عاقبته بضراوة.
ـ تعتقدين ذلك لأنك لا تعرفين القصة كاملة، يا حبيبتي. وحتى لو لم يفعل غير الهرب بك في زورقه، لكان ذلك كافياً لانزال ذلك العقاب به.
فتطلعت اليه متسائلة:
ـ وما هي القصة الكاملة؟
فتأوه ريس لأنه لم يكن يجد أية متعة في سردها، فقال:
ـ كان سبب كل المشاكل التي حدثت في الميناء. ففي أثناء غيابي، كان كل يوم يتهجم على العمال الذين يصنعون الزورقين اللذين أوصى عليهما، حتى انهما عزما على ترك العمل، وما كدت أطيب خاطرهم وأصرفهم عن عزمهم، حتى جاء هذا الصباح ليتهجم عليهم ايضا. فعاملته بلطف ما بعده لطف. وأشرت عليه ان يبحث عن شركة أخرى تلبي له طلبه. واتصلت بوالده، فوجدت انه مسافر الى لندن. فاعتذر لي عن تصرف ولده، وكدت أصفح عنه لو لم تتلفن لي اورسولا وتخبرني بأنه أخذك معه في الزورق. وجن جنوني، خصوصاً عندما رأيت تلك السفينة الضخمة تكاد تقضي على الزورق، وأقسمت ان أحطم أضلاعه اذا ما ألقيت يدي عليه...
فقالت له زوي:
ـ ولكنك كدت تفعل!
ـ نعم، وأنا على استعداد لأعيد الكرّة اذا استمر في تصرفه الأحمق...
ورمقها بنظرة فيها كل معاني الحب وتابع قائلا:
ـ والآن دعينا ننساه، فلدي شيء آخر أريد ان أخبرك به في صدد شهر العسل، وهو انني أردت الذهاب معك الى مكسيكو لاعتقادي ان تصريف بعض الأعمال هناك ولقاء اصدقائي يمنحك وقتاً يسهل

عليك الانتقال الى وضعك الجديد كزوجة لي. ولسوء الحظ لم تنجح هذه المحاولة النجاح المطلوب، مع اني بذلت كل جهد الا في شيء واحد، وهو أن أعاملك بلطف وحنان.

فقالت له زوي بصراحة احمرّت لها وجنتاها:

ـ شعرت بالتعاسة لأنك لم تقترب مني مرة أخرى. . .

ـ أهذا كان السبب يا حبيبتي؟ وأعدك الآن اني سأعوض عن تقصيري آلافاً مضاعفة! أنت زوجتي، وأنا أحبك كثيراً وأريدك لي. . . ولكنني أحذرك بأن جدتك ستعجب حين تجد بعد خمس سنين ان قميص النوم الذي أهدته لك لا يزال على حاله. . .

فقهقهت زوي ضاحكة وتركت يديها تهبطان ببطء عن كتفيه لتداعبا ظهره العريض الصلب.

ـ آه يا حبيبي!

وحملها ريس، ثم أطبق عليها يعانقها ويقول:

ـ رددي على مسامعي انك تحبينني.

وهكذا غرقا في لجة الحب العميقة التي لا قرار لها، فيما كانت الريح تعصف في الخارج وتنذر بهبوب عاصفة شديدة.

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسى

أرجوحة المصير
الراية البيضاء
العذاب إذا ابتسم
الرجل الفراشة
أنشودة البحيرة
النصف الآخر
دورها فى اللعبة
حورية التلال
سيدة نفسها
دون أن تدرى
ضحية
صخرة الأمنيات
عقد الأصداف
عد فقيراً مثلى
لا تعتذرى أبداً
قبل أن ترحل

لو لم تسافر
لقاء واحد يكفى
مصارع الثيران
مازلنا غرباء
نصف الحقيقة
منارة فى الأنواء
وحدهما فقط
أطياف بلا وجوه
البحث عن وهم
الوادى السرى
بحر العتاب
بين الحلم والواقع
عروس إبليس
فصول النار
قيد الوفاء
لا أحد سواك

❀ هذه الروايات هي جواز سفرك إلى عالم الخيال والعاطفة، إنها أيضًا بطاقة للإبحار في زورق الحلم خارج ليل الوحدة

❀ تأخذك هذه الروايات إلى حيث تشعّ منارة اللقاء، ويرج الحبّ كلّ جولة مع السّعادة

❀ في روايات عبير أصابع الحنان تغيّر مجرى الأيام نحو ربيع المشاعر

❀ إنّها دنيا الحب، تجمّعت في سطور...